

٩٦
مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية
الأمانة العامة
المقدسة
اللهم أهل الكبرياء والعظمة

رمضان المعظم- شوال المبارك ١٤٣٨هـ
حزيران - تموز ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشراف العام / رئيس التحرير
الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير
محمد رزاق صالح

هيأة التحرير
صفوان ضياء جمال الدين
محمد فاضل الزبيدي
أحمد محسن المؤذن
حسين عدنان رضيوي

التدقيق اللغوي
ضياء قاسم عبدالعال

التصميم والاخراج الفني
علي طالب ماميثة

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١
هاتف: ٣٢٦٤٩٩-بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة
www.imamhussain.org
موقع القسم
www.imamhussain-lib.org
بريد القسم
info@imamhussain-lib.org





















اسم على مسمى

هذه العبارة تطلق على التطابق بين الشيء واسمه، فمثلاً قولنا هذا الرجل اسمه شريف، وهو في حقيقته مليء بالشرف، وذلك الرجل اسمه طاهر وهو في حقيقته طاهر في ظاهره وباطنه وهكذا.

ولكن في أحيان كثيرة لا يحصل أي نوع من أنواع التطابق بين الاسم وحقيقته فقد يكون اسم الرجل شريفاً وهو مما لا شرف له، وقد يكون اسمه طاهراً وهو مليء بالقذارة المادية والمعنوية والظاهرية والباطنية، ولو تأملنا في سبب عدم التطابق بين الاسم وبين الواقع لوجدنا أنّ البشر لا يعلمون الغيب ولا يعلمون المصير إلاّ من أراد الله تعالى له ذلك، فقد يسمي الأب ابنه باسم جيد ولكن لا يكون ذلك الابن في واقعه كما هو في اسمه فلا يكون عند ذلك اسماً على مسمى.

أما لو قام بالتسمية الله تعالى العالم بكل شيء والمحيط بالظاهر والباطن والماضي والحاضر والمستقبل لوجدنا انطباق الاسم على المسمى وهذا ما حصل في تسمية الإمام السبط الأكبر للنبي صلى الله عليه وآله حيث أسماه الله تعالى حسناً وفي هذا دلالة واضحة على أنّ الله تعالى علم أنّ هذا الوليد سيكون حسناً في الباطن والظاهر، وسيكون حسناً في الحاضر والمستقبل فأسماه بذلك، وإلاّ من المحال أن يسمي الله تعالى وليداً باسم حسن وهو يعلم منه أنّه ليس كذلك فإذن نعلم من خلال هذه التسمية بأنّ الله تعالى شهد لهذا الوليد وهو الحسن بن علي بن أبي طالب بأنّه حسن في ظاهره وباطنه، وحسن في حاضره ومستقبله، ومن هذا يظهر أن الامام الحسن انطبق اسمه على واقعه فصح أنْ نقول في حقه اسم على مسمى، ويترتب على هذه النتيجة نتائج أُخرى في العقائد ليس هنا محلها.

المشرف العام

آثار واقعــة الطف

ثورة الإمام الحسين عليه السلام مقدّسة ومباركة

وجود بعض الكرامات والمعاجز بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام دلالة واضحة على أنّها قضية كونية مقدّسة ولها مبدأ وسلوك قد ثبّتها الله تبارك وتعالى، لسير المجتمع الإسلامي وفق هذه المبادئ والسلوكيات.

لم يذكر التاريخ موقفاً مشابهاً لما حدث بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام آنذاك، وحتى يومنا هذا قد نرى بعض الكرامات، حيث هناك كرامات ومعاجز إن لم تكن يومية فهي تحدث في الشهر أو في السنة دائماً.

خاصية الثورة الحسينية

قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية خاصة مرتبطة بالكون، فبكاء الحيوانات والبحار والجبال على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قضية ربانية وكونية.

فالحوادث في مقتل الإمام الحسين عليه السلام وفق قوانين الطبيعة وقوانين الكون خاصة.

يذكر الشيخ الطبراني في كتابه (مقتل الحسين عليه السلام) أموراً غريبة حدثت عند مقتل الحسين عليه السلام من قبيل أن السماء مطرت دماً وأنّه لم يرفع حجر من بيت المقدس إلا ووجد تحته دم عبيط.

كذلك يذكر (فريد وجدي) في (دائرة معارف القرن العشرين) أموراً كونية حدثت منها تغير السماء وماء أحمر ظهر على الأرض وغيرها فلولا أنّها قضية ربانية لما تغير الكون بذلك.

فقضية الإمام الحسين عليه السلام هي استثنائية عالمية بل كونية ربانية فهكذا أراد الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام أن تبدأ قضية الإمام الحسين عليه السلام ولا تنتهي فهي مشروع ثوري إصلاحي لا يتوقف إلى يوم القيامة.

المجالس الحسينية والكرم الحسيني

إنّ حب النّاس والتدافع بالإطعام في المجالس الحسينية تمثل قيمة إنسانية مطلوبة في المجتمع فإنّها قيمة نبعت من ثورة الإمام الحسين عليه السلام وتأصلت وأصبحت من القيم الثابتة في المجتمع فهنالك الكثير من الروايات التي تحبب إطعام الطعام وإفشاء تلك القيمة في المجتمع حتى أصبحت عرفاً دارجاً لدى الشيعة خاصة والمسلمين عامة.

فعَنِ الْحَسَنِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عُمَرَ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام لَبِسْنَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ السَّوَادَ وَالْمُسُوحَ وَكُنَّ لاَ يَشْتَكِينَ مِنْ حَرٍّ وَلاَ بَرْدٍ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَعْمَلُ لَهُنَّ الطَّعَامَ لِلْمَأْتَمِ». (المحاسن:٢/٤٢٠)

ذكر المحدث القمي في كتابه (الكنى والألقاب) في المجلد الثالث (كان عبد الله بن جدعان يسكن مكة وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جالساً مع مجموعة من الأصحاب في المدنية فجاء خبر وفاة عبد الله بن جدعان، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ النار لا تمس جسد عبد الله بن جدعان» قالوا: لماذا يا رسول الله؟ قال: «لأنّه كان يحب إطعام الطعام».

فإنّ الإطعام في المجالس الحسينية لها بركات دنيوية فضلاً عن الفائدة الأخروية، إنّ الإطعام في مجالس سيد الشهداء عليه السلام قد يأتي بالبركات الإلهية إلى الشخص، فضلاً عن الرحمة الإلهية التي تشمل الشخص في الآخرة بسبب الإطعام.



المسير إلى الحسين عليه السلام كالمسير إلى الله

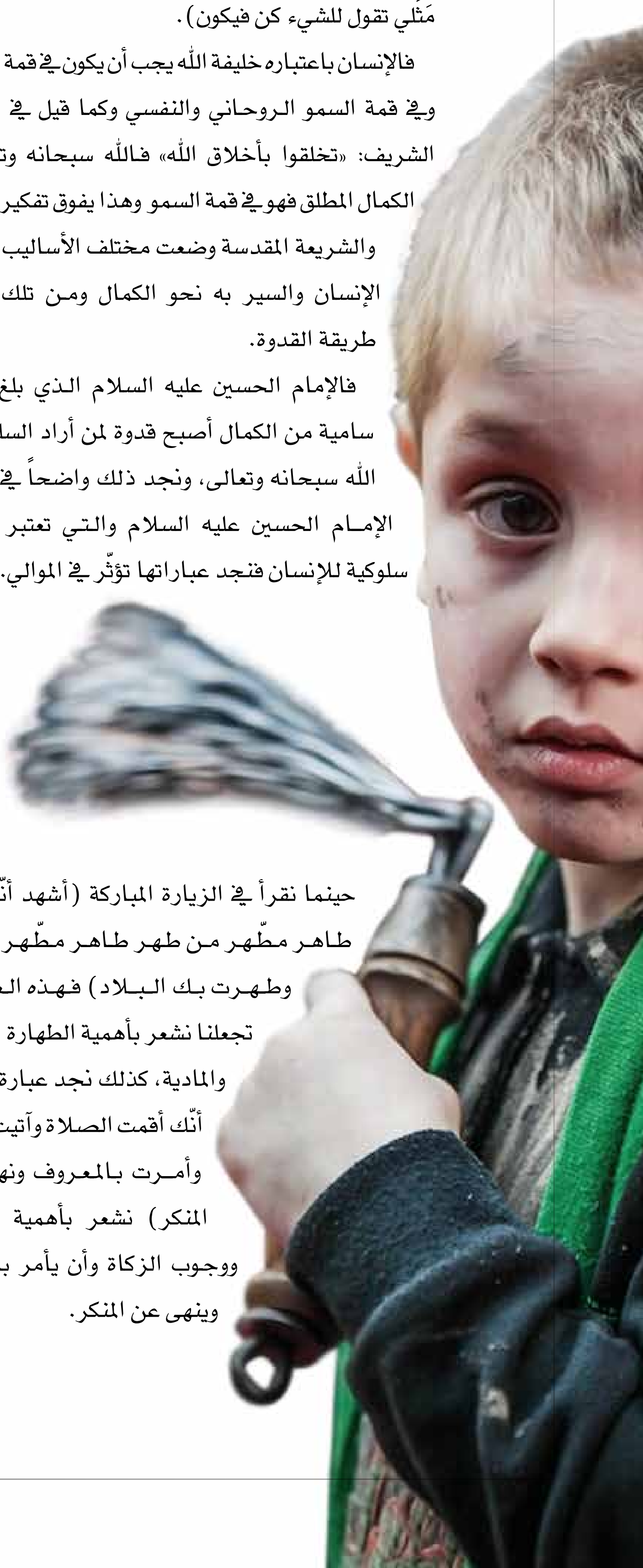
إنّ الإنسان في المنظومة الفكرية الربانية وفي شرائع السماء قاطبة هو خليفة الله في الكون فالله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو الكمال المطلق، كرَّم الإنسان وأعطى له صلاحية الكمال.

جاء في الحديث القدسي: (عبدي أطعني تكن مِثْلي أو مَثَلي تقول للشيء كن فيكون).

فالإنسان باعتباره خليفة الله يجب أن يكون في قمة الأخلاق وفي قمة السمو الروحاني والنفسي وكما قيل في الحديث الشريف: «تخلقوا بأخلاق الله» فالله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق فهو في قمة السمو وهذا يفوق تفكيرنا.

والشريعة المقدسة وضعت مختلف الأساليب لتهذيب الإنسان والسير به نحو الكمال ومن تلك الطرق طريقة القدوة.

فالإمام الحسين عليه السلام الذي بلغ مراتب سامية من الكمال أصبح قدوة لمن أراد السلوك إلى الله سبحانه وتعالى، ونجد ذلك واضحاً في زيارات الإمام الحسين عليه السلام والتي تعتبر مدرسة سلوكية للإنسان فنجد عباراتها تؤثّر في الموالي.



حينما نقرأ في الزيارة المباركة (أشهد أنّك طهر طاهر مطّهر من طهر طاهر مطّهر طُهرت وطهرت بك البلاد) فهذه العبارات تجعلنا نشعر بأهمية الطهارة الروحية والمادية، كذلك نجد عبارة (أشهد أنّك أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر) نشعر بأهمية الصلاة ووجوب الزكاة وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ثورة الحسين عليه السلام نشاط للأُمة

إنّ طرق تنشيط الأمة كثيرة إلا أنّ أفضل الطرق إلى الشريعة المقدسة وإلى روح التشريع الإسلامي هو الطريق الأسرع والأقرب.

فظاهرة المجالس الحسينية السير إلى الحسين عليه السلام هي من أقرب الطرق إلى تنشيط الأمة وعدم خمولها.

فهي طريق وسلوك روحاني تربط الأُمة بقيم الحسين عليه السلام الذي يمثل بدوره مجمل السلوكيات الربانية لذلك نجد كثيراً من الروايات تحثّ على زيارة الحسين عليه السلام والبكاء على مصابه.

فهناك من الروايات أعطت الجنة وما فيها لمن عرف الحسين عليه السلام حق معرفته.

فعلى الرغم أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام مستحبة إلا أنها تحتاج إلى جهد نفسي عظيم لذلك أُعطيت ذلك الثواب.

لماذا يحاول الأعداء إطفاء الثورة الحسينية؟

إنّنا نجد وعلى مر العصور أنّ أعداء الثورة الحسينية من الطواغيت يحاولون إطفاء تلك الثورة فكانوا يرغبون في عدم التأثر بالحسين عليه السلام لذا حاولوا مراراً وتكراراً منع زيارة الحسين عليه السلام فضلاً عن التضييع على الشيعة.

حتى وصل الأمر إلى محاولة هدم وإلغاء قبر الحسين عليه السلام كما فعل المتوكل العباسي لعنه الله، فلولا أنّها تمثل الهداية الإلهية لما منعوا الزيارة، والتوسل بالحسين عليه السلام.

فزيارته عليه السلام تمثل مظهراً من مظاهر التمرد ضد الظالمين، فالأئمة عليهم السلام كانوا يحثون شيعتهم على زيارة الإمام الحسين عليه السلام والتأثر بثورته ومبادئه رغم كل الظروف.

فقد روي أنّ رجلاً جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: إنّنا في مدينة نأتي إلى زيارة الحسين عليه السلام عبر البحر وفي بعض الأحيان يكون البحر هائجاً فهل نذهب إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام وخاصة أنّنا نخاف انقلاب السفينة قال لهم الإمام الصادق عليه السلام: «اخرجوا لزيارة جدي الحسين فإن انقلبت فإنّما تنقلب في الجنة».

ليس كمثله شيء

هل أنّ الله تعالى شيء؟

تمتنع الكلمات من الانتقاش على سطورها وجلة كونها ترجمان المباحث العقائدية لاسيما في البحوث التي تتكلم عن بارئها، فكيف لي أن أبدأ الجواب عن هذا السؤال؟ هل الله تعالى شيء؟ لمعرفتي أنّ الفطرة تقر بوجود خالق الخلق، والقلب مليء باليقين والتصديق، والجوارح مذعنة معترفة بقدرته وإحاطته، فلذا أقول بلسان صريح إنّ الله تعالى موجود، وأنّه تعالى شيء لما جاء في كتب اللغة من أنّ الشيء هو الموجود. (المعجم الوسيط:٥٠٢)

فلذا يصح أن نطلق كلمة (شيء) على الله تعالى مع الاحتفاظ بقيود الآيات والروايات الشريفة التي صرحت بأنّه تعالى (ليس كمثله شيء) ولكي يتاح لي أن أجيب عن هذا السؤال بطريقة علمية لابد أن أسلسل الجواب وفق النقاط التالية:

١. لا شك في وجود الله تعالى بالدليل العقلي كبرهان الإمكان وبرهان العلة والمعلول وبرهان المحدودية وبرهان الأثر والمؤثر التي ذكرها أهل الاختصاص في محلها.

٢. لا شك في وجود الله تعالى بالدليل النقلي كما في قوله تعالى: ﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾. [إبراهيم:١٠]

وقوله تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. [الروم:٣١]

وقال عزّ وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾. [العنكبوت:٦١]

وهناك أكثر من آية تصرح بأنّ الله تعالى موجود لخلقه الخلق وتدبيره الأمر.

كما أنّ الكثير من الروايات التي تشير إلى وجوده تعالى كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في حواره مع السائلين والمستفهمين ومع المشككين والملحدين، وقد أشار مولانا الإمام الصادق عليه السلام إلى دليل الفطرة الذي يظهر عند الشدائد، (قال له رجل: يابن رسول الله دُلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليَّ المجادلون وحيّروني.

فقال الإمام عليه السلام: «يا عبد الله هل ركبتَ سفينة قطّ؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام: «فهل كُسرتْ بك حيث لا سفينة تنجّيك ولا سباحة تغنيك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام: «فهل تعلّق قلبُكَ هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلّصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام: «فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»). (الفوائد البهية:١/٨٨)

٣. ثبت عند أهل الحكمة وكثير من المتكلمين أن الشيئية تساوق الوجود والعدم لا شيئية له أي أن كل ما له الوجود له الشيئية، وكل ما له الشيئية له الوجود. (بداية الحكمة:١٦٥)

٤ـ ثبت في لسان النقل أن الله تعالى شيء ولكن ليس كمثله شيء كما في قوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾. [الشورى:١١]

وما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام صريح في جواز إطلاق (شيء) على الله تعالى ولكن دون أن ننفي وجوده أو ننفي صفاته، ودون أن نشبهه بصفات خلقه كما في قول الإمام الجواد عليه السلام عندما سئل: يجوز أن يقال لله إنّه شيء؟ قال عليه السلام: «نَعم يُخرِجُهُ مِنَ الحَدَّيْن: حَدِّ التَّعطيل وَحَدِّ التَّشْبيه». (أصول الكافي:١/١٠٤)

وروايات أخرى تبيّن أنه تعالى شيء لا كالأشياء في ذاته وصفاته بل هو تعالى فوق الإدراك والأوهام وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام حينما سأله عبد الرحمن ابن أبي نجران عَن التّوحيد فقال له: أتَوَهَّمُ شَيئاً؟ فقالَ ـ عليه السلام ـ: «نَعَمْ، غَيْرَ مَعْقُول وَلا مَحْدُود، فَما وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْه مِنْ شَيء فَهوَ خِلافُهُ، لا يُشْبِهُهُ شَيءٌ ولا تُدرِكُهُ الأوْهامُ، كَيفَ تُدْرِكُهُ الأوهام وهوَ خلاف ما يُعقَلُ وخلاف ما يتصوَّرُ في الأوْهام؟! إنّما يتوهّم شيءٌ غَيرُ مَعْقُولٍ ولا مَحدودٍ». (أصول الكافي:١/١٠٥)

وما نورده من الروايات الشريفة الآتية صريح في إطلاق الشيئية عليه تعالى مع الاحتفاظ بشروطها كما فيما يلي:

١. عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ اللّه خلو من خلقه وخلقه خلو منه وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شيء تبارك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». (أصول الكافي:١/١٠٦)

٢. عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن عطية، عن خيثمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ اللّه خلو من خلقه وخلقه خلو منه وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا اللّه تعالى فهو مخلوق واللّه خالق كل شيء». (أصول الكافي:١/١٠٧)

٣. عن العباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزّنديق حين سأله: ما هو؟ قال: «هو شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي إلى إثبات معنى وأنّه شيء بحقيقة الشيئية غير أنّه لا جسم ولا صورة ولا يحسّ ولا يجسّ ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدّهور ولا تغيّره الأزمان». (أصول الكافي:١/١٠٥)

لذا يتّضح من روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ إطلاق كلمة الشيء على الله تبارك وتعالى جائز مع عدم التشبيه، فلا يجوز تشبيه البارئ عزّ وجل.

قال الصدوق: عن أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد ابن الوليد قالا: حدثنا محمد بن يحيى العطار؛ وأحمد ابن إدريس عن بعض أصحابنا، عن طاهر بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت إلى الطيب يعني أبا الحسن موسى عليه السلام: ما الذي لا تجزئ معرفة الخالق بدونه فكتب: «ليس كمثله شيء ولم يزل سميعاً وعليماً وبصيراً، وهو الفعال لما يريد». (التوحيد:٢٨٤)

إذن الله تعالى ليس كمثله شيء قال الصدوق: أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قالا: حدثنا محمد ابن يحيى العطار؛ وأحمد بن إدريس عن بعض أصحابنا، عن طاهر بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت إلى الطيب يعني أبا الحسن موسى عليه السلام: ما الذي لا تجزئ معرفة الخالق بدونه فكتب: «ليس كمثله شيء ولم يزل سميعاً وعليماً وبصيراً، وهو الفعال لما يريد». (التوحيد:٢٨٤)

فالله تبارك وتعالى شيء لكنه ليس كالأشياء المجردة والمحسوسة، لا يمكن مشاهدته ولا يمكن تحجيمه ولا تصوّره فهذا خلاف العقيدة والأصول الإسلامية والشريعة المحمدية.

بقلم: الشيخ علي الفتلاوي



بعض مقامات الزهراء عليها السلام

مصحف فاطمة من دلائل الإمامة

مصحف فاطمة عليها السلام هو أحد دلائل إمامة الإمام عند حيازته له، ففي الرواية المنقولة في كتاب بصائر الدرجات عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (ما مات أبو جعفر عليه السلام حتى قبض مصحف فاطمة عليها السلام).

فمصحف فاطمة أحد المنابع العلمية التي يتزود منها الإمام إبان مهمته الإلهية فضلاً عن كونه أحد دلائل إمامته الحقة.

من هنا تتبين حجية فاطمة عليها السلام على أبنائها الحجج المعصومين عليهم السلام فهي الواسطة العلمية بين الله تعالى و بين الأئمة عليهم السلام من خلال العلم المحفوظ في مصحفها المتعلق بما يكون إلى يوم القيامة فحجيتها نظير حجية النبي صلى الله عليه و آله في شأن القرآن المجيد الذي هو مصدر علوم الأئمة.

كما أنّ العلم الذي يتلقونه عليهم السلام عن مصحف فاطمة غير مقتصر على ما نقش من وجود كتبي في ذلك المصحف بل هذا الوجود الكتبي تنزلي تنزيلي لحقائق ذلك العلم الذي ألقي عليها ، فوساطتها إذن بلحاظ عالم الأنوار لهم عليهم السلام ، و يشهد لوساطتها لعلومهم و حجيتها روايات بدء الخلقة و خلقة أنوارهم و اشتقاقها على الترتيب من نور النبي صلى الله عليه و آله و نور علي ثم اشتقاق نور الحسنين من نورهم مما يدل على كون رتبتها بعد علي عليه السلام و أن بقية أنوار الأئمة عليهم السلام اشتقت منها فهي واسطة فيض تكوينية لوجودهم وكمالاتهم وهو مقام رفيع وسر عظيم.

الزهراء عليها السلام حجة الله على الأئمة عليهم السلام

إذا كان أهل البيت عليهم السلام حجج الله على خلقه فإنّ أمّهم فاطمة حجة الله عليهم، وهي ما صرّحت به رواية الإمام العسكري عليه السلام: «نحن حجج الله على الخلق، وفاطمة عليها السلام حجّة علينا».

ويشهد لهذا المعنى ما ورد عن مصادر علومهم

عليهم السلام كالجفر والصحيفة والجامعة، وأن منها مصحف فاطمة عليها السلام مما يدلّ على كونها واسطة علمية بين الأئمة عليهم السلام وبين الله تعالى في العلم المحفوظ في مصحفها المتعلق بما يكون إلى يوم القيامة.

فهي حجة في هذا العلم الجم على الأئمة عليهم السلام يأخذون به، نظير حجية النبي صلى الله عليه وآله في شأن القرآن الكريم الذي هو مصدر علوم الأئمة عليهم السلام كما في الروايات.

ولا يخفى أنّ وساطتها عليها السلام لذلك العلم ليس عبر نقش وخط ذلك المصحف، إذ الوجود الكتبي لمصحفها وجود تنزلي لحقائق ذلك العلم الذي ألقي إليها، فوساطتها بلحاظ عالم الأنوار لهم عليهم السلام.

سؤال وجواب

قال الله عزّ وجل في حديث قدسي: «يا محمد لولاك ما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما»، ما تفسير هذا الحديث؟

الجواب: ليس معنى الحديث كما قد يتوهم في بادئ الأمر من أفضلية علي أو فاطمة عليهما السلام، بل الرسول صلى الله عليه وآله أفضل الكائنات وسيد البرايا: ﴿ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى ﴾ دنواً واقتراباً من العليّ الأعلى ﴾، وقال علي عليه السلام: «أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله».

لكن يمكن توجيه الحديث بما يلي: إنّ غاية خلقة الإنس والجن هو عبادة الله بقوله تعالى: ﴿ وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾، وعبادة الله تعالى بدين الإسلام الذي بعث به النبي صلى الله عليه وآله ودينه لم يكن ليبقى إلا بإمامة علي عليه السلام وهدايته وحفظه للأمة عن التقهقر إلى الكفر والضلال، ولم تكن إمامة علي عليه السلام ليدلل عليها بالحجة والبينة في أيام فتنة السقيفة إلا بموقف الزهراء عليها السلام من مواجهة أصحاب السقيفة.

فهنا يكون مصداق هذا الحديث قد ظهر جلياً أنّ لولا تضحية الزهراء عليها السلام في أيام السقيفة لما كان الدليل على الحجة والبينة، وبالتالي حينما لم تكن هناك حجية أو بينّة فلم يستقم الدين.

فاطمة عليها السلام حرّم الله ذريتها على النار

روى الفريقان مستفيضاً الحديث الشريف «فاطمة أحصنت فرجتها فحرم الله ذريتها على النار»، وفي بعض الروايات أنّها جعلت مستودعاً للحسن والحسين ورحما لهما ولنسل الإمامة.

و حرم الله ذريتها على النار أي أنّ ذريتها عصموا من الضلال والردى.

وليس المراد من إحصان الفرج مجرد العفة عن الفاحشة الكبيرة، فإن هذا أمر تتحلى به كثير من المؤمنات و مع ذلك لم يصلن إلى مقام (مستودع العصمة والطهارة)، فلابد أنّ يكون المعنى أكبر من ذلك.

فقد استعمل عنوان الفرج كناية عن مطلق الشهوة الجنسية وعلى هذا يكون المراد من الإحصان هو العفاف بدلاً عن استعمال الشهوة الجنسية في تمام أعضاء البدن سواء العين أو اليد أو الأذن أو غيرها من الحواس فضلاً عن الفرج.

بل الظاهر أنّ معنى إحصان الفرج بمقتضى ما ورد من الآيات في عفة الحجاب هو أن تحصن المرأة نفسها ولا تظهر زينتها للأجنبي فيلتذ بالنظر إليها ولو برمق العين أو تلذذ السماع، بل قد يصل الحجاب والاحتجاب إلى درجة أن يكون الإحصان مانعاً عن أن تقع في مخيلة الطرف الآخر كي لا يلتذ بها خياله.

روى الراوندي في النوادر بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: «قال علي عليه السلام: استأذن أعمى على فاطمة فحجبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم حجبتيه وهو لا يراك؟

فقالت عليها السلام: إن لم يكن يراني فإنّي أراه وهو يشم الريح.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشهد أنك بضعة مني.

الشيخ محمد السند



إتمام النعمة بالولاية

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ .[الأعراف:٥٥]

هناك روايات متواترة ومستفيضة وردت في تفسير هذه الآية على أنّها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي تعرف بآية الولاية.

فعن أبي رافع قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وهو نائم وحيّة في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فأوقظ النبي صلى الله عليه وآله فظننت أنّها دونه فمكثت هنيهة فاستيقظ النبي صلى الله عليه وآله وهو يقرأ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾، ثمّ قال: «الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَتَمَّ لِعَلِيٍّ نِعْمَتَهُ، وَهَنيئاً لَهُ بِفَضْلِ اللهِ الَّذي آتَاهُ»، ثُمَّ قَالَ لي: «مَا لَكَ هَاهُنَا»، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الْحَيَّةِ، فَقالَ لي: «اقْتُلْهَا»، فَفَعَلْتُ؛ ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا رَافِع، كَيْفَ أَنْتَ وَقَوْمٌ يُقَاتِلُونَ عَلِيّاً، وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، جِهادُهُمْ حَقٌّ للهِ (عَزَّ اسْمُهُ)، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ لَيْسَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لي إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ أَنْ يُقَوِّيَني عَلَى قِتَالِهِمْ، قَالَ: فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَميناً، وَإِنَّ أَميني أَبُو رَافِعٍ».(أمالي الطوسي:٣٧)

وقال محمد بن عبيد الله: فلمّا بويع عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسار طلحة والزبير إلى البصرة وخالفه معاوية وأهل الشام قال أبو رافع: هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه سيقاتل علياً قوم يكون حقاً في الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه ومن لم يستطع بلسانه فبقلبه ليس وراء ذلك شيء، فباع أبو رافع داره وأرضه بخيبر، ثمّ خرج مع علي بقبيلته وعياله وهو شيخ كبير ابن خمس وثمانين سنة.

ثمّ قال: الحمد لله لقد أصبحت وما أعلم أحداً بمنزلتي لقد بايعت البيعتين بيعة العقبة وبيعة الرّضوان، ولقد صلّيت القبلتين، وهاجرت الهجر الثلاث فقيل له ما الهجر الثلاث؟ قال: هجرة مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي إذ بعثه رسول الله، وهجرة إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه هجرة مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ورجع إلى رافع مع الحسن إلى المدينة ولا دار له ولا أرض فقسّم له الحسن عليه السلام دار عليّ بن أبي طالب عليه السلام نصفين وأعطاه بينبع – وهي قرب المدينة – أرضاً أقطعها إيّاه فباعها عبيد الله بن أبي رافع بعد من معاوية بمائتي ألف درهم وستّين ألفاً. (سعد السعود:٩٦)

وعن زيد بن الحسن عن جدّه عليهم السلام قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول: وقف عليّ بن أبي طالب عليه السلام سائل وهو راكع في صلاة تطوّع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعلمه بذلك، فنزلت على النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله علينا ثم قال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاه». (البرهان للبحراني:١/٤٨٣)

تظهر من الروايات السابقة أمورٌ مهمة منها ما يلي:

أولاً: ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام بنص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هي النعمة الإلهية، بل وهي إتمام النعمة الإلهية كلها.

ثانياً: بيّن النبي صلى الله عليه وآله في حديثه لأبي رافع أنّ عليّاً عليه السلام هو الحق وعلى الحق؛ ومن قاتله هو الباطل وعلى الباطل.

ثالثاً: من مميّزات الجهاد هو القتال تحت راية الحق، فلما كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الحق، فيكون القتال في سبيل الحق وللحق، وهذا عين كلام الرسول صلى الله عليه وآله أنّ «جِهادُهُمْ حَقٌّ لله».

رابعاً: أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله على أنّ الجهاد ليس فقط بالسلاح، فمن لم يستطيع الجهاد بيده عليه أن يجاهد بلسانه ومن لم يستطع بلسانه فبقلبه، وليس وراء ذلك شيء آخر.

خامساً: من أقرّ بولاية النبي صلى الله عليه وآله عليه أن يعتقد بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام كذلك، فولاية علي عليه السلام هي ولاية النبي بنص قوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

سادساً: دعاء النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ولمن والاه، بالنصر الإلهي ووعده لمن عادى علياً عليه السلام بالخذلان وعداوة الله تعالى.

إنّ آية الولاية من الآيات المهمة التي نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام.

فعن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أعرض عليك ديني الذي أدين الله به؟ فقال «هاته»، قلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله وأقرّ بما جاء به من عند الله قال: ثمّ وصفت له الأئمة حتّى انتهيت إلى أبي جعفر عليه السلام، قلت: وأقول فيك ما أقول فيهم، فقال: «أنهاك أن تذهب باسمي في الناس»، قال أبان: قال ابن أبي يعفور: قلت له مع الكلام الأوّل حين وصفت الأئمة عليهم السلام وأقررت بولايتهم: وأزعم أنّهم الذين قال الله في القرآن: ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾. [النساء:٥٩]

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «والآية الأخرى فاقرأها»، قال: قلت له: جعلت فداك أيّ آية؟ قال: «﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾». (تفسير العياشي:١/٣٢٧)

لقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام أنّ قبول ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام والاعتقاد بها هو شرط بقبول ولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام جميعاً.

متى نزلت آية الولاية

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ ورد علينا أعرابيّ أشعث الحال، عليه أثواب رثّة، والفقر بين عينيه، فلمّا دخل وسلّم قال:

أَتَيْتُكَ وَالْعَذْرَاءُ تَبْكِي بِرَنَّةٍ
وَقَدْ ذَهلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ
وَأُخْتٌ وَبِنْتَانِ وَأُمٌّ كَبِيرَةٌ
وَقَدْ كِدْتُ مِنْ فَقْرِي أُخَالِطُ فِي عَقْلِي



وَقَـدْ مَسَّـنـي فَـقْـرٌ وَذُلٌّ وَفَـاقَـةٌ
وَلَـيْـسَ لَـنَـا شَـيْءٌ يُمِـرُّ وَلاَ يُحْـلِي
وَمَـا الْمُـنْـتَـهَـى إِلاَّ إِلَـيْـكَ مَـفَـرُّنَا
وَأَيْــنَ مَـفَـرُّ الْخَـلْـقِ إِلاَّ إِلَى الرُّسُـلِ

قال: لمّا سمع النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك بكى بكاءً شديداً ثمّ قال لأصحابه: «مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَبَقَ إِلَيْكُمْ جَزَاءً وَالْجَزَاءُ مِنَ اللهِ غُرَفٌ فِي الْجَنَّةِ تُضَاهِي غُرَفَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُوَاسِي هَذَا الْفَقِيرَ»، فَقَالَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يُصَلِّي رَكَعَاتِ التَّطَوُّعِ كَانَتْ لَهُ دَائِماً فَأَوْمَأَ إِلَى الأَعْرَابِيِّ بِيَدِهِ فَدَنَا مِنْهُ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الْخَاتَمَ مِنْ يَدِهِ وَهُوَ فِي صَلاَتِهِ فَأَخَذَهُ الأَعْرَابِيُّ وَانْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ بَعْدَ الصَّلاَةِ عَلَى الرَّسُولِ:

أَنْـتَ مَـوْلًى يُـرْتَجَـى بِـهِ مِنَ
اللهِ فِي الدُّنْيَا إِقَامَةُ الدِّينِ
خَـمْـسَـةٌ فِي الأَنَــامِ كُـلُّـهُـمْ
وَأَنْـتُـمْ فِي الْــوَرَى مَـيَـامِـينُ

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ أَتَاهُ جَبْرَئِيلُ وَنَادَى «السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ لَكَ اقْرَأْ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾».

فَعِنْدَ ذَلِكَ قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله قَائِماً عَلَى قَدَمَيْهِ وَقَالَ: «مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ أَيُّكُمُ الْيَوْمَ عَمِلَ خَيْراً حَتَّى جَعَلَهُ اللهُ وَلِيَّ كُلِّ مَنْ آمَنَ»؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِينَا مَنْ عَمِلَ خَيْراً سِوَى ابْنِ عَمِّكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَإِنَّهُ تَصَدَّقَ عَلَى الأَعْرَابِيِّ بِخَاتَمِهِ وَهُوَ يُصَلِّي، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «وَجَبَتِ الْغُرَفُ لاِبْنِ عَمِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام»، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

قَالَ فَتَصَدَّقَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى ذَلِكَ الأَعْرَابِيِّ فَوَلَّى وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَـا مَـوْلًى لِخَـمْـسَـةٍ
أُنْـزِلَـتْ فِيهِمُ السُّوَرُ
أَهْـلِ طه وَهَـلْ أَتَـى
فَاقْرَءُوا يُعْرَفُ الْخَبَرُ
وَالـطَّـوَاسِـينَ بَعْدَهَا
وَالْحَـوَامِـيمَ وَالـزُّمَـرُ
أَنَـا مَـوْلًى لِـهَـؤُلاَءِ
وَعَـدُوٌّ لِمَـنْ كَـفَـرُوا

(الفضائل لابن شاذان:١٥٦)

تظهر من الرواية بعض النقاط منها ما يلي:

أولاً: إنّ وجود النبي صلى الله عليه وآله مع أصحابه في المسجد دال على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً مع أصحابه ليعضهم وكذلك لإظهار أهمية الشريعة والدين.

ثانياً: إنّ الفقير أو المسكين أو طالب حاجة يأتي إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله لطلب حاجته بدليل وجود عدد من المسلمين في مكان واحد أثناء الصلاة أو بعد الصلاة.

ثالثاً: الهيئة التي دخل بها الأعرابي في المسجد تدل على شدّة فقره وجوعه وتعبه.

رابعاً: خاطب الفقير جميع المسلمين في المسجد فكان قد

بيّن حالة عياله وعيشه في البداية ونهاية كلامه، ثم أشار إلى عدد عياله المتكوّنة من أُمّه وأُخته وابنتين له بالإضافة إلى زوجته وطفل رضيع.

خامساً: عندما سمع النبي صلى الله عليه وآله مقالته ورثاءه بكى بكاءً شديداً على الحالة التي كان يمرّ بها الفقير وعياله، فهذا دال على أنّ بكاء النبي صلى الله عليه وآله من باب عدم مبالاة المسلمين فيما بينهم، وعدم معرفة المجتمع ما حال جيرانه، أو ما حال إخوانه في معيشتهم.

سادساً: إنّ النّبي صلى الله عليه وآله بوحي من الله تعالى خصّص غرفاً في الجنة تضاهي غرف إبراهيم الخليل على نبيّنا وآله وعليه السلام لمن يواسي هذا الفقير، فهذا فيه أُمور منها:

أ: إنّ النّبي صلى الله عليه وآله بشّر المواسي بأنّه من أهل الجنة.

ب: إنّ النّبي صلى الله عليه وآله خصّص غرفاً للمواسي في الجنة.

ج: إنّ النّبي صلى الله عليه وآله جعل هذه الغرف تضاهي غرف خليل الله على نبيّنا وآله وعليه السلام.

وهذا حظ عظيم وسعادة وافرة ليكون الإنسان من أهل الجنة فضلاً عن وجود غرف تضاهي غرف إبراهيم الخليل على نبيّنا وآله وعليه السلام في هذه الجنة.

سادساً: سماع أمير المؤمنين عليه السلام طلب المحتاج، والتصدق بالخاتم أثناء الصلاة.

سابعاً: جعل الله تبارك وتعالى تصدق أمير المؤمنين علي عليه السلام في حال الركوع مبرراً للإعلان عن أخطر منصب، وأجلّ مقام، يرتبط بمستقبل ومصير البشرية بأسرها، لا في جيل بعينه، وإنّما في الأجيال المتعاقبة كلها إلى يوم القيامة.

ثامناً: نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وآله في الأثناء وهو جالس مع أصحابه يتحدث ويتكلم، ونزول آية الولاية.

تاسعاً: إظهار فضيلة أمير المؤمنين علي عليه السلام وبيان الآية المباركة والحكم الإلهي بإطاعة الله والرسول وأولي الأمر والولي، الذي كان مصداقه أمير المؤمنين علياً عليه السلام.

عاشراً: وصف الله تبارك وتعالى حالة الولي بأنّه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وهو في حالة الركوع، لكي يعلم المسلمون الذين كانوا في المسجد أنّ الإمام والولي والخليفة هو علي عليه السلام وليس غيره.

الحادي عشر: من خلال الرواية يتّضح أنّ حادثة تصدّق أمير المؤمنين علي عليه السلام كانت بمرأى جمع غفير من المسلمين، وكل من كان في المسجد قد رأى تصدق علي عليه السلام، بدليل سؤال النبي صلى الله عليه وآله مع علمه بأنّ المتصدّق أمير المؤمنين علي عليه السلام لكنه يخاطب أصحابه ويسأل عمن عمل خيراً حتى جعله الله ولي كل من آمن، فهو صلى الله عليه وآله أراد أن يرسل رسالة إلى جميع المسلمين حتى من لم يكن في المسجد على أنّ الولي والإمام هو أمير المؤمنين عليه السلام، بدليل سؤاله من الأصحاب.

طلب النبي صلى الله عليه وآله للوصي

بينما عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ قال الرجل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني أنا جندب ابن جنادة البدري أبو ذرّ الغفاريّ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلاّ فصمّتا ورأيته بهاتين وإلاّ فعميتا يقول: «عليّ قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله». أما إنّي صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السّماء وقال: اللهم أشهد أنّي سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي عليه السلام في الصّلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان متختّماً فيها فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبيّ وهو يصلّي فلمّا فرغ النبيّ صلى الله عليه وآله من صلاته رفع رأسه

إلى السّماء وقال: «اللهم إنّ أخي موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ .[طه:٢٥-٣٢]

فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا...﴾ .[القصص:٣٥]

اللهم وأنا محمّد نبيّك وصفيّك اللهم فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أشدد به ظهري».

قال أبو ذر: فما استتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه حتّى نزل جبرائيل من عند الله عزّ وجل فقال: «يا محمّد اقرأ، فأنزل الله عليه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾».(كشف الغمة:٩١)

من خلال الرواية الآتية يتّضح لنا بعض النقاط منها ما يلي:

أولاً: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد طلب من الله تبارك وتعالى أن يجعل له وزيراً ووصياً وخليفة من بعده.

ثانياً: أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يكون وصياً وخليفة ووزيراً، بدليل أنّ النّبي صلى الله عليه وآله طلب من الله أن يكون هذا الوزير من أهله.

ثالثاً: طلب النبي صلى الله عليه وآله من الله تعالى أن يكون هذا الخليفة كخليفة موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، أي أن يكون أخاً له، وهذه النقطة تشير إلى أنّ أخاً النبي صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين علي عليه السلام بدليل حديث المؤاخاة.

عَنْ مُوسَى بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نَسِيءٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: آخَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَتَرَكَ عَلِيّاً فَقَالَ لَهُ: «آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَتَرَكْتَنِي» فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَخَّرْتُكَ إِلَّا لِنَفْسِي أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي»، قَالَ: «مَا أَرِثُ مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»، قَالَ: «مَا أَوْرَثَ النَّبِيُّونَ قَبْلِي أَوْرَثُوا كِتَابَ رَبِّهِمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ وَأَنْتَ وَابْنَاكَ مَعِي فِي قَصْرِي فِي الْجَنَّةِ». (أمالي الصدوق:٣٤٦)

وعن سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «إِنَّ أَخِي وَوَزِيرِي وَخَيْرَ مَنْ أُخَلِّفُهُ بَعْدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام».(أمالي الصدوق:٣٤٧)

حال المنافقين مع آية الولاية

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: «لمّا نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾، اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة وقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ قال بعضهم: إنّا إن كفرنا بهذه الآية لكفرنا بسائرها وإن آمنّا فإنّ هذا ذلّ حين يسلّط علينا علي بن أبي طالب، فقالوا: قد علمنا أنّ محمّداً صادق فيما يقول: ولكن نتولاه ولا نطيع عليّاً فيما أمرنا فنزل: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾، يعني ولا (عليّ وأكثرهم الكافرون) بولاية عليّ».(المناقب لابن شهر آشوب:١/٥١٤)



إذن: ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام هي النعمة الإلهية، والتي قد أكمل الله دين محمد صلى الله عليه وآله بنعمة الولاية، فلولا الولاية ونعمة الإمامة لما كمل الدين وكان ناقصاً.

طالب السّنجري



العناية الإلهية لسفينة نوح

يبقى القرآن الكريم عنواناً لكل علم وسباقاً لكل وصف دقيق لا يمكن أن يخطئ لأنّه تنزيل من عزيز حكيم ولا يناجزه أحد إلا غلبه.

فهناك دقة متناهية للنص القرآني في تحديد موقع رسو سفينة نوح على نبينا وآله وعليه السلام وفق أحدث الأرصاد العلمية والطرق البحثية لفرق استكشافية عالمية.

سفينة نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام

صنع شيخ الأنبياء نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام سفينة عظيمة من مواد خشبية عندما أمره الله تعالى بصنعها وعلمه إياها الأمين جبريل عليه السلام طيلة مئات السنين كما تبين لنا تفاسير آيات قصته التي جاء بها القرآن الكريم.

وقد ذُكرت قصة نبي الله نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام في التوراة والإنجيل والقرآن.

وفصل القرآن الكريم هذه القصة في سورة خاصة اسمها سورة نوح، وكذلك في آيات مباركات عديدات أخرى، إذ إنّ كلمة نوح ذكرت في الكتاب العزيز في (٣٣ آية) بدءاً من بعثته إلى قومه وتكذيبهم إياه، ومن ثم استمراره وصبره الطويل عليهم طيلة عمره الشريف الذي استمر لأكثر من ألف سنة ودعوته لحوالي ٩٥٠ عاماً.

ومن الواضح أن العلم قد توصل إلى أن الإنسان القديم كان أكثر عمراً وأطول قامة من إنسان اليوم.

يقول تعالى في ذكر ما جرى في آيات عديدة منها:

١- ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾. [العنكبوت:١٥]

٢- ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ ﴾. [الأعراف:٦٤]

٣- ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾. [يونس:٧٣]

٤- ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾. [هود:٣٧]

٥- ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾. [هود:٣٨]

٦- ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾. [المؤمنون:٢٧]

٧- ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾. [المؤمنون:٢٨]

٨- ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾. [الشعراء:١١٩]

٩- ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾. [العنكبوت:٦٥]

١٠- ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾. [يّس:٤١]

فالآيات السابقة وآيات أخرى غيرها جاءت في تبيان قصة صناعة السفينة التي أُمر سيدنا نوح عليه السلام بصنعها استعداداً ليوم الطوفان العظيم الذي سيصيب قومه.

والفُلْكُ والسفينة واحد وجمع يذكر ويأنث قال الله تعالى ﴿ في الفلك المشحون ﴾ فأفرد وذكر وقال تعالى ﴿ والفلك التي تجري في البحر ﴾ فأنّث ويحتمل الإفراد والجمع وقال تعالى ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴾ فجمع وكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب فيذكر وإلى السفينة فيؤنث وكان سيبويه يقول: الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد وليس مثل الجنب الذي هو واحد وجمع والطفل وما أشبههما من الأسماء لأن فُعْلاً وفَعَلاً يشتركان في شيء واحد مثل العُرْب والعَرَب والعُجْم والعَجم والرُّهْب والرَّهَب فلما جاز أن يجمع فَعَلٌ على فُعْلٍ مثل أسيد وأسد لم يمتنع أن يجمع فُعْلٌ على فُعْلٍ. (لسان العرب:١١/٢٥٠)

كذلك بين تعالى أن الفلك مشحون ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾. [يّس:٤١]

تفاصيل صناعة السفينة

جاء في قصة النبي نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام الذي لبث يدعو قومه ٩٥٠ عاماً كما نص القرآن الكريم ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾. [العنكبوت:١٤]

ومن الواضح أنّه أُمر ببناء السفينة لأنّ الله تعالى قد أمر بعذاب قومه المكذبين بالطوفان المدمر، فأخذ يتعلم بناء السفينة من قبل الأمين جبرائيل عليه السلام كما يبين أهل التفسير.

ولو أدركنا أنّ المدة التي عاش فيها نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام تمتد لفترات سحيقة في تاريخ الوجود الإنساني على الأرض لعلمنا أن تقنية صناعة السفن التي تعلمها هي مفتاح صناعة السفن بطرازها المتقدمة التي تطورت فيما بعد، فلو تتبعنا تاريخ صناعة السفن في الفترات التي تلت تاريخ وواقعة الطوفان لعلمنا أنّ صناعة السفن قد شهدت قفزة نوعية فعلاً.

وقد حاول عليه السلام طيلة هذه المدة الطويلة أن يقنع قومه أنّ الله تعالى هو خالقهم وهو الأولى بالعبادة، ولكنهم صدوه وحاربوه واستهزؤوا به وبأصحابه، فحذرهم من عاقبة أمرهم هذا.

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾. [هود:٣٢]

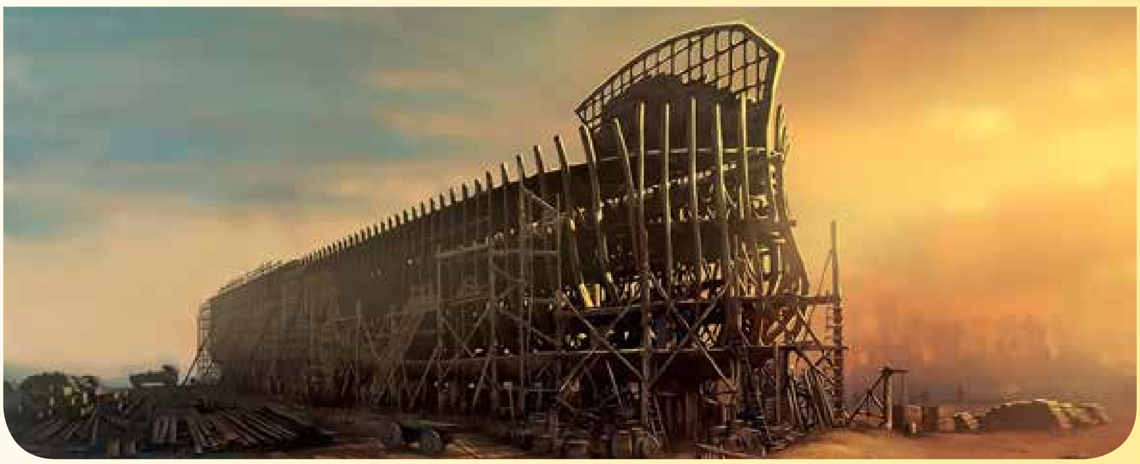
واستمر صابراً عليهم حتى أوحي إليه أنّه لا أمل من قومه ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾. [هود:٣٦]

فدعا عليه السلام ربه أن ينصره على هؤلاء القوم الكافرين ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾. [القمر:٩-١٠]

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً ﴾. [نوح:٢١]

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾. [نوح:٢٦]

فأمره الله تعالى بصناعة السفينة، وكلما مرّ عليه نفر من قومه استهزؤوا به، ولكنه توعدهم بأنّهم سيندمون على هذا الأمر أي ندم ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾). [هود:٣٧-٣٨]



وأوحى له الله تعالى أنّ الماء سيغمر المكان وأنّ عليه أن يحمل أهله - إلا امرأته وابنه - وأصحابه ومن كل المخلوقات زوجين اثنين، فإذا استقر عليها حمد الله وشكره على فضله بنجاتهم من غضبه على القوم الكافرين: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾. (المؤمنون:٢٧-٢٨]

وحصل الطوفان الهائل الذي غطى منطقة ما بين النهرين وما حولها، فغرق القوم وهم يستنجدون بعد أن أيقنوا بصدق ما جاءهم به نوح عليه السلام ولكن بعد فوات الأوان.

وقد أثبتت البحوث الآثارية والجيولوجية في المنطقة التي قامت بها عدة فرق علمية استكشافية من مختلف دول العالم من أنّ الغرين والطمى في المنطقة يدلل من غير أي شك على حصول طوفان عظيم في الحقبة السومرية من تأريخ العراق القديم. (ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية:٩٨)

وبعد انتهاء الأمر جاء أمر الله تعالى بتوقف تدفق الماء من السماء ومن الأرض، فاستوت السفينة على جبل الجودي وهبط منها نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام ومن معه لتبدأ البشرية رحلة جديدة وبنفس القانون الإلهي الذي لا يتغير.

وهذا ما نص عليه القرآن الكريم ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾. [هود:٤٤]

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. [هود:٤٨]

هذه التفاصيل ذكرت بعضها في الكتب السماوية الأُخرى ولكن ليس بهذا الأُسلوب الرائع وهذه الدقة، فمثلاً ذكر العهد القديم أنّ السفينة استقرت على جبل آرارات الواقع شرق الأناضول والذي يقطنه أغلبية من الأرمن من سكان تركيا الحالية، بينما صرح القرآن الكريم أنّ الجبل هو الجودي والذي يقع في منطقة قريبة من الجبل الأول.

قامت عدة فرق بحثية علمية من مختلف الجنسيات العالمية تدين الديانة النصرانية بتتبع هذه المسألة حتى حصل الاكتشاف الذي حيرهم.

إذ اكتشفوا أنّ سفينة نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام وجدت لها آثار فوق جبل في تركيا ولكنّه ليس جبل آرارات بل إنّه جبل آخر اسمه جبل (الجودي) يقع بالقرب من جبل آرارات.

فتحير القوم وزادت دهشتهم عندما علموا أنّ القرآن قد صرّح بهذا قبل مئات السنين، بل وأكد القرآن الكريم على أنّ السفينة بقيت وستبقى كآية ودليل على صدق القرآن الكريم وعلى قدرة الله تعالى في تعذيب الأقوام المكذبة والجاحدة من جهة وعلى دقة الوصف القرآني من جهة أخرى.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾. [القمر:٩-١٥]

وقد بين القرآن الكريم قصة صناعة السفينة في آيات عدة كما ذكر آنفاً، ومنها قوله تعالى ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾. [هود:٣٨]

فقوله تعالى: ﴿ ويصنع الفلك ﴾ أي وطفق يصنع قال زيد بن أسلم: مكث نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها ومائة سنة يعملها وقومه يسخرون وذلك لما رأوه يصنع من ذلك حتى كان من قضاء الله فيهم ما كان. (الجامع لأحكام القرآن:٩/٣٠)

وهكذا تم بناء السفينة وحصل الطوفان ونال المكذبون ما يستحقون من عقاب ونجّى الله تعالى نوحاً على نبيّنا وآله وعليه السلام ومن معه بعد أن استقرت السفينة على الجودي وهو جبل في تركيا يقع قريباً من جبل آرارات.

فلو تدبرنا المسافة بين مكان تنزيل القرآن في مكة والمدينة وبين منطقة رسو السفينة لوجدنا أنّها تبعد آلاف الكيلومترات فضلاً عن فرق الارتفاع وجهل أغلب شعوب ذلك الزمان بمكان السفينة.

فمن أين يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بكل تلك الدقة المتناهية لكشف مكان رسو السفينة الحقيقي؟! أليس الجواب واضحاً، إنّه الإخبار من لدن حكيم عليم.

بقلم: أحمد عبد الحسين



الزواج المقدّس

كان الغالب على مجتمعات الجزيرة العربية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وبعدها صفة الفقر في العيش، والشدة في التعامل، فقد كانوا يعتمدون في تحصيل معاشهم على الغارات والنهب والحروب، وكانوا يعبدون الأوثان، إلا قليل منهم كان على دين الحنفية.

إنّ آباء النبي صلى الله عليه وآله كانوا موحّدين مؤمنين بالرّسالات السماوية، متمسكين بشريعة إبراهيم الخليل على نبيّنا وآله وعليه السلام.

نقل الشيخ الصدوق عن الأصبغ بن نباتة رضوان الله عليهما قال: (سمعت أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يقول: «وَاللهِ مَا عَبَدَ أَبِي وَلاَ جَدِّي عَبْدُ الْمُطَّلب وَلاَ هَاشِمٌ وَلاَ عَبْدُ مَنَاف صَنَماً قَطُّ»!، قيلَ: وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ؟ قَالَ: «كَانُوا يُصَلُّونَ إِلَى الْبَيْتِ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ مُتَمَسِّكِينَ بِهِ»). (كمال الدين وتمام النعمة:١/١٧٥)

وقد أوضح حالَ العرب قبل البعثة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له حيث قال عليه السلام: «إنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِين وَفِي شَرِّ دَار مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَة خُشْن وَحَيَّات صُمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ». (نهج البلاغة:٦٨)

جاء في خطبة الزهراء عليها السلام عندما غصبوا حق أمير المؤمنين علي عليه السلام جاءت إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله قائلة: «...أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ وَأَبِي مُحَمَّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ أَقُولُ عَوْداً

وَبَدْواً وَلاَ أَقُولُ مَا أَقولَ غَلطاً وَلاَ أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطاً لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَعْزُوهُ وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ وَلَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِالنِّذَارَةِ مَائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ ضَارِباً ثَبَجَهُمْ آخِذاً بِأَكْظَامِهِمْ دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ يجف الأَصْنَامَ وَيَنْكُثُ الْهَامَ حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوُا الدُّبُرَ حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ وَخَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ وَطَاحَ وَشِيظُ النِّفَاقِ وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقَاقِ وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاَصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبِيضِ الْخِمَاصِ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ مُذْقَةَ الشَّارِبِ وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ وَقُبْسَةَ الْعَجْلاَنِ وَمَوْطِئَ الأَقْدَامِ تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ أَذِلَّةً خَاسِئِينَ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ فَأَنْقَذَكُمُ اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجَالِ وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّه أَوْ نَجَمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ أَوْ فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا...». (الاحتجاج:١/١٠٠)

ولكن نلاحظ أنّ في هذا المجتمع المملوء بالانحرافات وغيرها كانت هناك بيوتات وأسر عرفت بالسجايا الطيبة والأخلاق الفاضلة، وقد تربع على قمتها بيت هاشم جد النبي صلى الله عليه وآله، فقد كان يدعى القمر ويسمى زاد الركب. (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب:٢٥)

وهاشم أول من سنَّ الرحلتين لقريش، وقد ورّث هذه المنزلة أبناؤه من بعده وبالأخص ولده عبد المطلب عليه السلام.

أورد ابن الأثير: (وكان يقال لهاشم والمطلب: البدران لجماليهما). (الكامل في التاريخ:٢/١٧)

ومن الجدير بالذكر أنّ الإنسان عندما يعيش في مجتمع غير قائم على العلاقات الإنسانية ويسوده الانحراف ومع كل ذلك تجده يتمتع بالأخلاق الطيبة والسجايا الكريمة، فهذا كاشف عن فضل هذا الإنسان وعظمته.

وهكذا كان أجداد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذا أمير الكلام والبلاغة يصف لنا أجداد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، قال ابن ميثم البحراني عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللّه خَلَفٌ حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وآله فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً وَأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَثَمَرٌ لاَ يُنَالُ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ وَكَلاَمُهُ الْفَصْلُ وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ وَغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ». (نهج البلاغة:١٤٠)

نور النبوة في عبد المطّلب عليه السـلام

كان عبد المطلب يحمل نور النبي صلى الله عليه وآله، وقد لاحظ ذلك اليهود والكُهّان والملوك أمثال سيف بن ذي يزن ملك اليمن وغيرهم، ثم انتقل هذا النور إلى ولده عبد الله عليه السلام.

وكان النبي صلى الله عليه وآله يفتخر بجدّه عبد المطلب في مواضع عدّة، منها:

ذكر المؤرخون في معركة حنين عند فرار المسلمين عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه افتخر بجدّه عبد المطلب، وقد نقل العلامة المجلسي قوله: (رسول الله صلى الله عليه وآله مصلت سيفه في المجتلد، وهو على بغلته الدلدل، وهو يقول:

«أَنَــا الــنَّـبِــيُّ لاَ كَــذِبَ
أَنَــا ابْــنُ عَـبْــدِ الْـمُـطَّـلِـبِ».

(بحار الأنوار:٢١/١٧٩)

الذبيح من أبناء عبد المطلب

روى الشيخ الصدوق في كتابه (الخصال) بسنده عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام عن جابر بن عبد

اللّه الأنصاري أنّه قال: (سُئل رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله عن وُلد عبد المطلب فقال: «عشرة والعباس»، يعني أحد عشر رجلاً). (الخصال:٤٥٠)

ثم قال الصدوق: (أسنّهم الحارث - وبه كان يكنّى عبد المطلب - وعبد العزى وهو أبو لهب، وأبو طالب - وهو عبد مناف - وضرار، والزبير، والغيداق، والمقوم، والحجل، وحمزة، والعباس، وعبد اللّه والد النبي صلى اللّه عليه وآله). (الخصال:٤٥٢)

عبد اللّه عليه السلام ثاني الذبيحين

عبد اللّه بن عبد المطلب عليهما السلام والد النبي صلى اللّه عليه وآله هو ثاني الذبيحين!

مع تقديس العرب لإبراهيم عليه السلام وللكعبة، فقد اعتنقوا الوثنية وعبادة الأصنام وأشهرها (هبل واللات والعزى ومناة)، حتى ذبح ملك المناذرة أسيره ابن ملك الغساسنة قرباناً لصنم العُزَّى!

وفي ذلك الظرف نذر عبد المطلب رضوان اللّه عليه إذا رزقه اللّه عشرة أولاد أن يذبح أحدهم للّه تعالى، قرباناً للكعبة، وعندما تم له عشرة أولاد اقترع بينهم فخرجت القرعة على عبد اللّه والد النبي صلى اللّه عليه وآله، فعزم أن يذبحه فأمره اللّه تعالى أن يفيده بقربان من الإبل، فاقترع فجاءت القرعة على مئة من الإبل، فكانت قصته كقصة جدّه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولهذا كان النبي صلى اللّه عليه وآله يقول: «أنا ابن الذبيحين»، يقصد إسماعيل وعبد اللّه عليهما السلام. (جواهر التاريخ للكوراني:١/٩٤)

من هو والد النبي صلى اللّه عليه وآله

هو عبد اللّه بن عبد المطلب، واسمه شيبة الحمد بن هاشم، وقيل اسمه عمرو بن عبد مناف، وكذلك اسمه المغيرة بن قصي، وقيل اسمه زيد ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وهو قريش ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. (إعلام الورى بأعلام الهدى:١/٤٣)

زوجة عبد اللّه رضوان اللّه عليهما

زوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

الزواج المقدّس

كان أعداء اللّه من اليهود وغيرهم يعرفون علائم النبوة، وقد عرفوا أنّ النّبيّ الموعود من صلب عبد اللّه، فأخذوا يخططون لقتله، وكان جدّه عبد المطلب عليه السلام يخشى عليه منهم.

وذات يوم خرج عبد اللّه عليه السلام إلى خارج مكة فلحقه جمع من اليهود لاغتياله، فدافع عن نفسه وقتل منهم جماعة، وقد رأى ذلك وهب بن عبد مناف من بني زهرة - ولد آمنة عليها السلام - فأخبر عبد المطلب بذلك، فأنقذوا عبد اللّه من كيد اليهود.

قال العلّامة المجلسي رحمه اللّه في بحاره: (فلما كان في تلك الليلة أقبل وهب على زوجته برة بنت عبد العزى وقال لها: يا برة لقد رأيت اليوم عجباً من عبد اللّه ما رأيته من أحد، وهو يكر على هؤلاء القوم، وكلما رماهم بنبلة قتل منهم إنساناً، وهو أجمل الناس وجهاً مما خصه اللّه تعالى من الضياء الساطع، فامضي إلى أبيه واخطبيه لابنتنا واعرضيها عليه، فعسى أن يقبلها، فإن قبلها سعدنا سعادة عظيمة.

قالت له يا وهب: إنّ رؤساء مكة وأبطال الحرم وأشراف البطحاء قد رغبوا فيه فأبى عن ذلك، وقد كاتبه ملوك الشام والعراق على ذلك فأبى عليهم، فكيف يتزوج بابنتنا وهي قليلة المال؟

قال لها: إنّ لي عليهم اليد، إنّني أخبرتهم بأمر عبد اللّه مع اليهود.

ثم إنّ برّة قامت ولبست أفخر أثوابها وخرجت حتى أتت دار عبد المطلب فوجدته يحدث أولاده بالخبر، فقالت: أنعم اللّه مساءكم، ودامت نعماؤكم، فرد عليها عبد المطلب التحية والإكرام، وقال لها: لقد سلف لبعلك اليوم علينا يد لا نقدر أن نكافيه أبداً، وله أياد بالغة بذلك، وسنجازيه بما فعل إن شاء اللّه تعالى.

فطمعت برة في كلامه، ثم قال: بلغي بعلك عنّا التحية والإكرام وقولي له: إن كان له لدينا حاجة تقضى إن شاء اللّه مهما كانت. فقالت له برة: يا أبا الحارث قد

طلبنا تعجيل المسرة، وقد علمنا أنّ ملوك الشام والعراق وغيرهم تطاولت إليكم، وقد رغبوا في ولدكم يطلبون أولادكم وأنواركم المضيئة، ونحن أيضاً طمعنا فيمن طمع في ولدكم عبد الله، ورجوناه مثل من رجا، وقد رجا وهب أن يكون عبد الله بعلاً لابنتنا، وقد جئناكم طامعين وراغبين في النور الذي في وجه ولدكم عبد الله، ونسألكم أن تقبلوا، وهي هدية منّا لابنك عبد الله.

فلما سمع عبد المطلب كلامها نظر إلى ولده وكان قبل ذلك إذا عرض عليه التزويج من بنات الملوك يظهر في وجهه الامتناع، وقال أبوه: ما تقول يا بني فيما سمعت؟ فو الله ما في بنات أهل مكة مثلها، لأنّها محتشمة في نفسها طاهرة مطهرة، عاقلة دينة، فسكت عبد الله ولم يرد جواباً، فعلم أبوه أنّه قد مال إليها.

فقال عبد المطلب: قد قبلنا دعوتكم، وأجبنا ورضينا بابنتكم، قالت فاطمة زوجة عبد المطلب: أنا أمضي معك إليها حتى أنظر إلى آمنة، فإن كانت تصلح لولدي رضينا بها، فرجعت برة مسرورة بما سمعت، ثم سارت إلى زوجها مسرعة وبشرته وسمعت أم آمنة هاتفاً في الطريق يقول: (بخ بخ لكم يا معشر أهل الصفا، قد قرب خروج المصطفى)، فدخلت على زوجها فقال: وما وراءكِ؟ قالت: لقد سعدت سعادة علا قدرك في جملة العالمين، اعلم أنّ عبد المطلب قد رضي بابنتك، فقال لها وهب بن عبد مناف: اخرجي هذه الساعة إلى ابنتك وزيّنيها، فعمدت برة إلى بنتها وألبستها أفخر ما عندها من الثياب، وقالت لها: يا ابنتي إذا أتتك فاطمة فتأدبي لها أحسن الأدب، وارغبي في النور الذي في وجه ولدها عبد الله، فبينما هما في ذلك إذ أقبلت فاطمة وخرج وهب من المنزل، وإذا بعبد المطلب فأدخلوا فاطمة، فقامت لها آمنة إجلالاً وتعظيماً ورحبت بها أحسن المرحب، فنظرت إليها فاطمة وإذا بها قد كساها الله جمالاً لا يوصف، فلما رأت فاطمة ذلك الحسن والجمال وقد أضاء من نور وجهها ذلك المجلس، قالت: يا برة ما كنت عهدت أنّ آمنة على هذه الصورة ولقد رأيتها قبل ذلك مراراً، فقالت برة: يا فاطمة كل ذلك ببركتكم علينا.

ثم خاطبت فاطمة آمنة وإذا هي أفصح نساء أهل مكة، فقامت فاطمة وأتت إلى عبد المطلب وعبد الله، وقالت: يا ولدي ما في بنات العرب مثلها أبداً، ولقد ارتضيتها، وإنّ الله تعالى لا يودع هذا النور إلاّ في مثل هذه.

ولما وقع الحديث بين وهب وبين عبد المطلب في أمر ابنته آمنة، قال وهب: يا أبا الحارث هذه آمنة هدية مني إليك بغير صداق معجل ولا مؤجل، فقال عبد المطلب: جزيت خيراً ولابد من صداق، ويكون بيننا وبينك من يشهد به من قومنا... فلما طلع الفجر أرسل عبد المطلب إلى بني عمه ليحضروا خطبتهم، ولبس عبد المطلب أفخر أثوابه، وجمع وهب أيضاً قرابته وبني عمه فاجتمعوا في الأبطح، فلما أشرف عليهم الناس قاموا إجلالاً لعبد المطلب وأولاده، فلما استقر بهم المجلس خطبوا خطبتهم وعقدوا عقد النكاح، وقام عبد المطلب فيهم خطيباً، فقال: (الحمد لله حمد الشاكرين، حمداً استوجبه بما أنعم علينا وأعطانا، وجعلنا لبيته جيراناً، ولحرمه سكاناً، وألقى محبتنا في قلوب عباده، وشرفنا على جميع الأُمم، ووقانا شر الآفات والنقم، والحمد لله الذي أحل لنا النكاح، وحرّم علينا السفاح، وأمرنا بالاتصال وحرّم علينا الحرام، اعلموا أنّ ولدنا عبد الله هذا الذي تعرفونه قد خطب فتاتكم آمنة بصداق معجل ومؤجل... فهل رضيتم بذلك من ولدنا؟ قال وهب: قد رضينا منكم، فقال عبد المطلب: اشهدوا يا من حضر، ثم تصافحوا وتهانوا وتصافقوا وتعانقوا، وأولم عبد المطلب وليمة عظيمة، دعاء فيها جميع أهل مكة وأوديتها وشعابها وسوادها،، فأقام الناس في مكة أربعة أيام)). (بحار الأنوار:١٥/٩١)

قال اليعقوبي في تاريخ الزواج: (وبعد حفر زمزم بعشر سنين، وبعد الفداء عن عبد الله بسنة واحدة كان تزويجه بآمنة بنت وهب، وكان سنه يوم تزويجها أربعاً وعشرين سنة، وروى اليعقوبي عن الصادق عليه السلام: «أنّه كان بين تزويج أبي رسول الله بأُمّه وبين مولده عشرة أشهر»). (تاريخ اليعقوبي:٢/٧)



الإمام الرضا عليه السلام والمشاركة السياسية

في حياة كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام مواقف وأحداث مهمة، ومن أهم الأحداث التي يجب دراستها بالتحليل والتأمل عند دراسة حياة الإمام الرضا عليه السلام هو مشاركة الإمام الرضا في الحكم العباسي عبر قبوله بولاية العهد للمأمون العباسي.

إنّ إعطاء المأمون ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام له ملابسات وحيثيات لابد من دراستها بموضوعية كي نفهم هذا الحدث التاريخي المهم.

لماذا قبل الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد؟

عرض المأمون على الإمام الرضا عليه السلام الخلافة ، فأعرض الإمام عن قبولها ورفض، ربما لأنّ المأمون كان يريد امتحان الإمام، ومعرفة ما إذا كان راغباً في السيطرة على مقاليد الحكم، وهو الأمر الذي قاتل من أجله المأمون أخاه الأمين خمس سنوات حتى قتله من أجل السيطرة على الحكم! فهل يعقل بعد ذلك أن يسلم الحكم ببساطة للإمام الرضا؟!

وبعد امتناع الإمام من قبول عرض المأمون الخلافة عرض عليه ولاية العهد فاعتذر أيضاً عن قبولها، إلاّ أنّ المأمون أصر على ذلك وهدد الإمام بالقتل إن لم يقبل، فقبل مكرهاً.

دوافع المأمون لتنصيب الإمام الرضا ولياً للعهد

كان هدف المأمون من إعطاء الإمام ولاية العهد هو التخلص من مشاكله السياسية، وتحقيق أهداف عدة، ويمكننا تلخيصها في النقاط التالية:

١. تحجيم دور الإمام الرضا عليه السلام عبر إبعاده عن قواعده الشعبية وجعله تحت المراقبة المباشرة.

إرسال المأمون الجلاوزة لجلب الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان كانت بغية تبعيده عن الشيعة كذلك إخماد الثورات الشيعية في خراسان وباقي المناطق المجاورة للقصر العباسي.

فمتى ما كان الإمام عليه السلام في خراسان كان تحت المراقبة الشديدة من قبل جلاوزة بني العباس، حيث إنّه عليه السلام كان لا يخلو إلا مع الله تبارك وتعالى.

فقد كانت الجواسيس تراقبه من الصباح وحتى المساء، إلى أن كان الإمام عليه السلام يدخل إلى حجرته للدعاء والمناجاة.

٢. القضاء على ثورات العلويين التي باتت تهدد الحكم العباسي.

بدأت الثورات العلوية والموالية لأهل البيت عليهم السلام

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وبعد واقعة زيد الشهيد رضوان الله عليه بالتحرك.

فقد بدأت المجاميع الشيعية تتحرك على انقلاب شعبي لإزاحة حكم بني العباس في خراسان وفي العراق وفي الحجاز.

قد علمت عائلة بني العباس بالتحركات الخفية ضد حكومة العباسيين وتيقّنت أنّ الثورات العلوية لتجتاح الساحة السياسية والصراع، فبدأت بخطّة الضغط على إمام الشيعة في زمانها علي بن موسى الرضا عليه السلام.

فقتل الإمام عليه السلام لا يجدي نفعاً بالنسبة للدولة العباسية حيث إنّ بني أُمية قتلت أولاد الرسول صلى الله عليه وآله كذلك من سلاطين بني العباس من قتل أئمة الهدى عليهم السلام، فقتل الإمام الرضا عليه السلام بالنسبة لبني العباس هي الورقة الخاسرة.

٣. إضفاء الشرعية على الحكم العباسي.

وجود شخصية كعلي بن موسى الرضا عليه السلام في الحكم العباسي هو النجاح بالنسبة للدولة العباسية في حين أنّ الشرعية على الحكم العباسي قد ضعفت بعد استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

مما اضطر المأمون أن يرسل على الإمام الرضا عليه السلام ليجعله قريباً منه.

٤. كسب أنصار أهل البيت عليهم السلام.

مع التوسّع الشيعي في البلدان الإسلامية بدأت السلطات الحاكمة الجائرة تتخذ إجراءات احترازية بالنسبة للشيعة والتشيّع بعدما قامت دولة بني العباس بظلم أئمة أهل البيت عليهم السلام وحبسهم في سجون الجلاوزة.

بدأ المأمون العباسي بكسب الشيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام مع وجود الإمام الرضا عليه السلام في ولاية العهد، كما ذكرنا أنّه عليه السلام لم يقبل ولاية العهد إلا بعد التهديد بالقتل.

٥. تفتيت جبهة المعارضة الواسعة.

بدأت الحكومة بتفتيت الجبهات المعارضة لها، وتحويلها إلى جهات معارضة صغيرة بعدما كانت كل المعارضة تحت لواء واحد واسعة وكبيرة، لا يمكن لأيّ حكومة مواجهاتها.

فقد جاءت دولة بني العباس ببدء تضعيف الجبهات المعارضة بتفتيتها وتقسيمها إلى جبهات مختلفة، بغية تضعيف المعارضين لها.

٦. زعزعة ثقة الناس بالإمام والعلويين.

أراد المأمون من خلال تصدي الإمام عليه السلام في الحكم وقبوله لولاية العهد إيجاد اختلال واضطراب بين الناس وبين الإمام المعصوم عليه السلام، وذلك بسبب وجود الإمام في الحكم والمشاركة العلوية في القصر العباسي.

فتقلّب الأُمور من الثورة والقيام بوجه بني العباس من السلم والمسالمة ووجود فترة زمنية مباشرة مع الثورات الشيعية في التصدي للحكم أو قبول ولاية العهد قد يسبّب اختلالاً في العلاقة بين الناس وبين الإمام المعصوم عليه السلام، لكنهم يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون.

باءً مخطط المأمون العباسي بالفشل بعدما رأى إصرار الإمام عليه السلام بعدم التدخل في أي أمر من أُمور الدولة وشؤون الحكم.

مكتسبات القبول بولاية العهد

إنّ تنصيب الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد قد حقق للإمام وللشيعة بعض المكاسب، ويمكن أن نحددها في نقاط منها:

١. توضيح العقائد الحقّة.

بدأ الإمام الرضا عليه السلام من خلال وجوده في خراسان بتوضيح العقاد الإسلامية الصحيحة حيث بدأت الفرق المختلفة والضالة تعمل على تشويه العقائد بين المسلمين في الفترة الزمنية من إمامة الإمام الباقر عليه السلام وحتى بداية إمامة الإمام الرضا عليه السلام.

فبعد أن وصل الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان بدأت اللقاءات والحوارات والجلسات بين الناس وبين الإمام عليه السلام، وبدأ سلام الله عليه بإيضاح العقائد الإسلامية الصحيحة للناس.

٢. نشر منهج أهل البيت عليهم السلام.

كان نشر المنهج النبوي وفكر أهل البيت عليهم السلام من الأُمور الصعبة في ظل حكومات (بني أُمية وبني العباس)، مع وجود الضغط الشديد على البيت العلوي والتضييق الذي قامت به السلطة على أولاد الرسول صلى الله عليه وآله بات نشر منهج أهل البيت عليهم السلام صعباً.

كانت السجون قد امتلأت من العلويين، وكان القتل في اليوم الواحد يصل إلى مئات من الأطفال والنساء والرجال، فضلاً عن ملاحقة الشيعة في أرجاء المدن.

بدأ الإمام الرضا عليه السلام في تلك الحقبة بنشر منهج أهل البيت عليهم السلام، وقد جاء بتفسير الآيات القرآنية، كذلك بيان الأحكام الصحيحة الخاصة بالشريعة الإسلامية، كذلك تصحيح الأفكار الخائطة لدى المجتمع الإسلامي.

٣. تصحيح الأفكار السياسية الخاطئة.

كان المأمون العباسي يستعين بالإمام الرضا عليه السلام في تمشية أمور الحكم والدولة، ولا يخفى علينا أنّ المأمون كان يتربّص بالنيل من الإمام سلام الله عليه، حيث كان يعقد الجلسات البحثية وبالأخص العقائدية بين علماء المذاهب، وبين الإمام الرضا عليه السلام، في الملأ العام.

لكنّ الإمام الرضا عليه السلام مع علمه وحكمته كان يبدأ بتصحيح الأفكار الخاطئة والمنحرفة في هذه الجلسات.

٤. الاستفادة من إمكانات الدولة.

تحررت الشيعة في زمن الإمام الرضا عليه السلام نوعاً ما من ضغوطات الدولة العباسية آنذاك.

فكان الإمام الرضا عليه السلام قد استغل هذه الفرصة في تقوية الشيعة كذلك الاستفادة من إمكانات الدولة العباسية لتحصيل بعض الأهداف التي كانت مرسومة لهداية الأُمة.

لماذا رفض الإمام عليه السلام الخلافة

السؤال المهم هو لماذا رفض الإمام الخلافة؟ أليس يعد ذلك تفويتاً لفرصة ذهبية؟

يظهر من رفض الخلافة نقطتين هما:

١. إنّ الإمام لم يكن يثق بصدق المأمون في عرضه للإمام.



من أهم الأُمور التي جعلت الإمام الرضا عليه السلام لم يقبل بعرض المأمون بالتدخل في شؤون الدولة هو عدم ثقته بالدولة العباسية وبالحاكم آنذاك.

٢- إنّ الأرضية السياسية لم تكن مهيأة لتولي الإمام مقاليد الحكم على فرض صدق المأمون في عرضه.

مع فرض صدق المأمون في عرضه للإمام عليه السلام لم تكن هناك أرضية قد تهيأت للإمام عليه السلام في تولي مقاليد الحكم، والتدخل في شؤون الدولة والحكم.

لم يكن المجتمع الإسلامي في المستوى المطلوب وقد يستمع إلى الإمام المعصوم عليه السلام، كان من الواجبات هداية الأُمة الإسلامية، وتغيير الانحراف الموجود آنذاك.

إذن: مشاركة الإمام الرضا عليه السلام في والحكم كان فيه نفعٌ بارزٌ للأُمة الإسلامية عامة وللشيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام بالخصوص.

من جهة منع الإمام عليه السلام توسع الانحراف العقائدي والفكري في المجتمع الإسلامي، ومن جهة أُخرى بدأ بنشر منهج أهل البيت عليهم السلام وبيان الحقائق والواضحات في الفكر النبوي الصحيح والمنهج النبوي.

بقلم: الشيخ الدكتور عبد الله اليوسف



الوسيلة إلى الله تعالى

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وجعل له صلة وصل و حبلاً منه ممتداً بين الأرض والسماء، فكان هذا الحبل هو (العروة الوثقى)، فقال سبحانه تعبيراً عن هذه الحقيقة في آية الكرسي المباركة: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾.[البقرة:٢٥٦]

فلم يدع الله الإنسان سُدى، بل جعل لهم علائم يهتدون بها، وليس أرقى من أهل البيت عليهم السلام، وهم محمد وأهل بيته، أنواراً وعلائم، يهتدي بها الإنسان والوجود بأسره، لأنّهم أول من خلق الله، إذ خلقهم بعلم منه مسبق، بما سيكونون عليه من التوحيد والعبودية له، عزّ اسمه، فأكرمهم وزادهم من فضله بما لم يؤتِ أحداً من العالمين.

المعراج والولاية

ذكرت تفاسير المسلمين باتفاق، وروى المحدّثون أكثر من حديث نبوي شريف في ذيل قوله عزوجل: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.[الزخرف:٤٥)

ويؤكد نزول هذه الآية بخصوص معراج النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله، إذ أمره الله سبحانه وتعالى أن يسأل الأنبياء والمرسلين- الذين جمعهم الله عنده، فاستقبلوه بحفاوة وإكبار- عن حقيقة الهدف من بعثتهم، وعما إذا كان ثمة آلهة أراد الله أن تعبد من دونه.

فامتثل النبي أمر الله تعالى، وسألهم عن العلة الحقيقية من بعثتهم، وعما إذا كانوا يعلمون بوجود آلهة تستحق أن تعبد من دون الله تعالى.

فأجابوا أجمعين، وبلسان واحد: (بعثنا على ولايتك (نبوتك) وولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام).

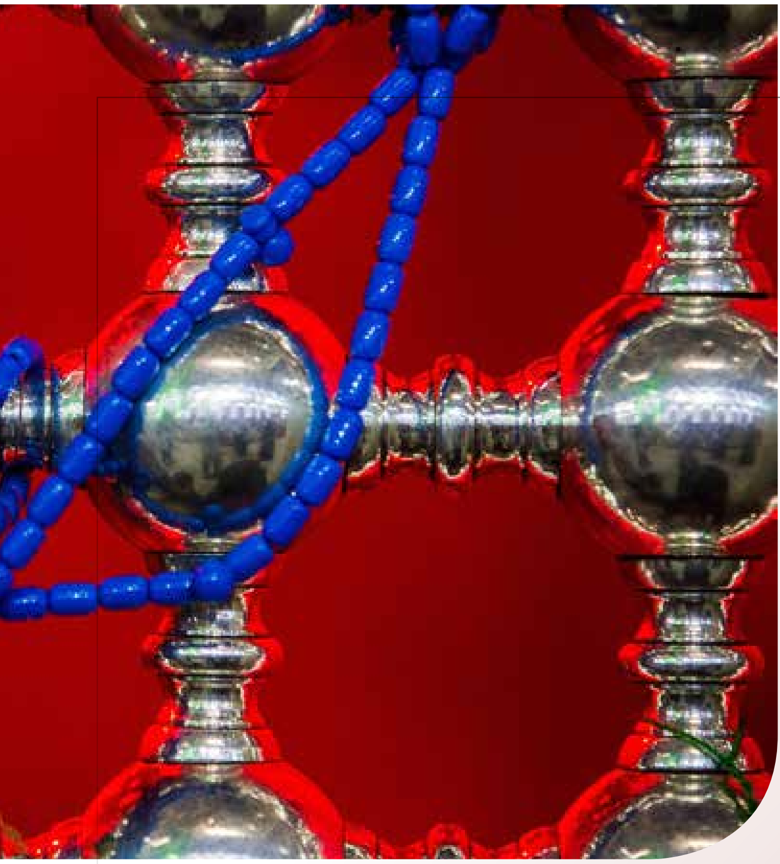
وذلك في معرض إشاراتهم إلى أنّ التوحيد الحقيقي، وعدم وجود آلهة من دون الله تعالى، إنّما يمر من خلال الإيمان بنبوة الرسول المصطفى، وولاية خاتم الأوصياء، علي المرتضى عليه السلام.

وهذا يعني - كما هو واضح - بأنّ عموم البشرية لابد لهم من الارتباط بالعروة الأوثق والعلامة الإلهية الأكبر، وهي: ولاية أهل البيت عليهم السلام، سواء كان هذا الارتباط مباشراً أو غير مباشر.

وحيث كان أشخاص أهل البيت عليهم السلام، غير ملموسين بالنسبة إلى الناس قبل خلقتهم، فقد كانت ولايتهم للناس ولاية غير مباشرة، فيما كانت هذه الولاية مباشرة للأنبياء، وللأجيال المعاصرة لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

ولطالما بشّر الأنبياء وأوصياؤهم لولاية خاتم الأنبياء وأوصيائه الاثني عشر، كما يتجلى ذلك في نصوص التوراة والزبور والإنجيل.. رغم حصول التحريف في هذه الكتب.

ولمن أراد التأكد من هذه الحقيقة الربانية، مراجعة



نصوص الأحاديث والروايات التي تبين أن الله سبحانه وتعالى قد خلق نوره، ثم خلق من نوره نور أهل البيت، ومن نورهم خلق الوجود.. ثم إنَّه تبارك وتعالى أخذ العهود والمواثيق في عوالم ومراحل الوجود الأخرى - قبل عالم الدنيا - بولاية أهل البيت عليهم السلام.

فأصبح توحيد الله - الذي خلق الله خلقه من أجله - لا يهتدى إليه، إلا بالإقرار بهذه الولاية، لأنَّ أصحابها لهم الفضل والكرامة على الخلق.

ولذلك؛ كانوا - عليهم السلام - الوسيلة التي يجب أن تبتغى لنيل القربى من الخالق، دون غيرها من الوسائل الأدنى في المرتبة والشرف، أو الوسائل الضالة والمُضلة.

ومن هنا، كان الأنبياء والرسل، هم الأحرى بقبول هذه الولاية، لأنَّهم التالون لهم بالمرتبة، وهم صلة الوصل بينهم وبين أقوامهم وأُممهم، فصاروا الأشد بهم تمسكاً، و أقرب إلى النجاة من عواصف الهلاك.

لقد شرع كل الأنبياء لدى عبادة الله سبحانه، بالإقرار بولاية أهل البيت عليهم السلام، وهذا ليس بالأمر الغريب أبداً، مادام الله تعالى جعل قبول عبادة الملائكة بسجودهم لآدم، كذلك أناط قبول عبادة الأنبياء بإقرارهم بالولاية لمحمد وآله صلى الله عليهم أجمعين.

فلم ير الأنبياء بُداً من التوسل بالباب الذي فتحه الله لهم لدى تعرضهم للمواقف الصعبة، وكان في طليعتهم؛ أبونا آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، إذ توسل إلى الله بالخمسة أهل البيت عليهم السلام، الذين رأى أسماءهم مكتوبة على العرش، فتاب الله عليه إكراماً لمنزلتهم السامية.

وبعد النبي آدم، جاء دور النبي نوح، الذي تغيرت ملامح الأرض بدعائه على قومه الكافرين بالله، فكان أن غرق كل شيء، وسرى الرعب حتى إلى من كان راكباً معه في السفينة، مما اضطره إلى أن يتوجه إلى الله المتعال، ويطلب منه أن ينقذهم مما حاق بهم من مشارف البلاء العظيم، فأمره الرب الجليل، أن يتوسل إليه بأسماء ومقامات أهل البيت عليهم السلام، بل الأعجب من ذلك، أنّ جبرائيل كان قد جاء بلوح مقدس مكتوب عليه أسماء الخمسة أصحاب الكساء، ليجعله جزءاً من ألواح سفينته.

ولحكمة إلهية أن يبقى هذا الجزء المقدس من السفينة ماثلاً إلى الآن في أحد المتاحف الروسية، بعد أن عثر عليه في بلاد أرمينيا.

وهذا يعني، أنَّ الحياة برمتها، قد كتب لها البقاء والاستمرار بإرادة الله تعالى الذي رفع مقام النبي نوح وزاده شرفاً إلى شرفه، بعد أن أمره بالتوسل إليه بخير الخلائق، محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

أمّا إبراهيم الخليل على نبيّنا وآله وعليه السلام، الذي رفع الله مقامه، بعد أن أتم له كلماته، والكلمات - كما روى مفسرو المسلمين باختلاف مذاهبهم - هم المعصومون الأربعة عشر، بمعنى بلوغ ولايته لهم أعلى المراتب.

وهو نفسه النبي إبراهيم، الذي عرضت عليه الملائكة أنواع المساعدة أثناء سقوطه في نار نمرود الكبيرة، ولكنَّه أبى إلاّ أن يطلب العون من ربه، مقدماً بين يدي طلبه هذا، أهل البيت عليهم السلام، فنجّاه الله من

ومن هنا، نفهم حقيقة الروايات الواردة عن طرق أهل السنّة قبل الشيعة، الذين نقلوا أنَّ عمر بن الخطاب، جاء ذات يوم بأوراق من التوراة، كان يقرؤها بكل إعجاب، وكان بعض أصدقائه اليهود ممن كان يتردد عليهم في المدينة، قد أعطاه إياها، فغضب النبي لأمر عمر أيّما غضب، وأمره بتركها، مؤكداً له أنَّ صاحب التوراة الحقيقية، لو قدر له أن يعود، لما وسعه إلا اتباعه، فتركها عمر بعد إصراره الشديد على قراءتها، وبعد أن وبّخه أبو بكر، على ما تسبب من الأذى لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا الاتباع المطلق من جانب النبي موسى، لنبينا المصطفى، يعكس المرتبة الأعلى لخاتم المرسلين، ويبرر بكل وضوح، أنَّ طريق النبي موسى إلى الله لابد أن يمر عبر الرسول الأكرم ليزداد كمالاً، ويسمو مرتبةً.

وكذلك النبي عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، حيث أنقذه توسله بأسماء ومقامات أهل البيت سلام الله عليهم، حينما حاصره أعداؤه اليهود وغيرهم، فرفعه إليه، ووعده أن يعيده إلى الأرض تارة أخرى، ليكون وزيراً مخلصاً لآخر الأوصياء، الإمام الحجة المنتظر، عجل الله تعالى ظهوره المبارك.

حقاً، لقد اختص الله تبارك وتعالى محمداً وآله صلوات الله عليهم أجمعين، بأن جعل لهم الكرامة والمقام الرفيع والولاية العظمى، دون سائر الخلائق.

فكان أول من أقر بهذه الولاية والكرامة، أنبياء الله والمرسلين، الذين طالما كان أهل البيت عليهم السلام ضالتهم، يتوسلون بهم إلى الله، ويستمدون منهم، ويتبركون بأسمائهم، ويتقربون بهم إلى خالقهم.

وحيث إنَّ المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، هم الأقرب إلى الله والأكمل من بين العباد، إذن فهم الأجدر بأن يتبعهم الناس، خصوصاً وأنَّهم الوحيدون المخوّلون بإيصال مفاهيم القرآن وتعاليم السماء إلى بني البشر، لأنَّهم معلّمون مباشرة بعلم الله سبحانه وتعالى، والله يؤتي فضله من يشاء.



الحريق، وجعل النار له برداً وسلاماً ببركة توسله بالمعصومين الأربعة عشر.

وكان يوم نجاته، يوافق - في حساب الله - اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام، يعني: يوم تتويج علي بن أبي طالب، عليه السلام أميراً للمؤمنين في غدير خم.

فإبراهيم نجا من نار نمرود، وانطلق إلى آفاق الأرض لينشر دين الله، في يوم أراده الله تعالى أن يكون منطلق الإمامة العلوية.

والنبي موسى بن عمران على نبيّنا وآله وعليه السلام، قد فلق الله له البحر، بعد أن طارده فرعون وجنوده بجيش جرّار، فوقف حائراً أمام قاع البحر الذي راح ينظر إليه بكل ذهول، ثم نظر إلى قومه، الذين أبوا الخوض في قاع البحر، حيث رأوه أشبه شيء بالطين، فخافوا العلوق.

وهنالك جاءه الوحي منقذاً، مؤكداً له، أنَّ النجاة من هذا الخطر الماحق، متوقف على معرفة مقام محمد وآل محمد، والتوسل إلى الله تعالى بهم، فخرّ إذ ذاك موسى لربه ساجداً، مطيعاً أمره الصادع، فدعاه باسم خاتم الأنبياء وأسماء آل بيته المعصومين المقدسين، وتمت له ولقومه النجاة.

بقلم: علي ضميري



الإمامة بين الإمام الحسن وأخيه الحسين عليهما السلام

رأى كثير من الناس، أنَّ الشمم الهاشمي الذي اعتاد أن يكون دائماً في الشواهق، كان أليق بموقف الحسين عليه السلام، منه بموقف أخيه الحسن المجتبى عليه السلام.

وهذه هي النظرة البدائية التي تفقد العمق ولا تستوعب الدقة.

فما كان الحسن عليه السلام في سائر مواقفه، إلاّ الهاشمي الشامخ المجد، الذي واكب في مجادته مُثُلَ أبيه وأخيه معاً، فإذا هم جميعاً أمثولة المصلحين المبدئيين في التاريخ.

ولكلٍّ - بعد ذلك - جهاده، ورسالته، ومواقفه التي يستمليها من صميم ظروفه القائمة بين يديه، وكلها الصور البكر في الجهاد، وفي المجد، وفي الانتصار للحق المهتضم المغصوب.

وكان احتساء الموت - قتلاً - في ظرف الحسين عليه السلام، والاحتفاظ بالحياة - صلحاً - في ظرف الحسن عليه السلام، بما مهدا به - عن طريق هاتين الوسيلتين - لضمان حياة المبدأ، وللبرهنة على إدانة الخصوم، هو الحل المنطقي الذي لا معدى عنه، لمشاكل كل من الطرفين، وهو الوسيلة الفضلى إلى الله تعالى، وإنْ لم يكن الوسيلة إلى الدنيا.

وهو الظفر الحقيقي المتدرج مع التاريخ وإنْ كان فيه الحرمان حالاً، وخسارة السلطان ظاهراً.

وقد قال جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

وكانت التضحيتان: تضحية الحسين عليه السلام بالنفس، وتضحية الحسن عليه السلام بالخلافة، هما قصارى ما يسمو إليه الزعماء المبدئيون في مواقفهم الإنسانية المجاهدة.

وكانت عوامل الزمن التي صاحبت كلاً من الحسن والحسين عليهما السلام في زعامته، هي التي خلقت لكلٍّ منهما ظرفاً من أصدقائه، وظرفاً من أعدائه، لا يشبه ظرف أخيه منهما، فكان من طبيعة اختلاف الظرفين اختلاف شكل الجهادين، واختلاف النهايتين أخيراً.

ظروفهما من أنصارهما

مثلت خيانة الأصدقاء الكوفيين، بالنسبة إلى الحسين عليه السلام خطوته الموفقة في سبيل التمهيد لنجاحه

المطرد في التاريخ، ولكنها كانت بالنسبة إلى أخيه الحسن عليه السلام – يوم مسكن والمدائن – عقبته الكؤود التي شلت ميدانه عن تطبيق عملية الجهاد.

ذلك لأنّ حوادث نقض بيعة الحسين عليه السلام كانت قد سبقت تعبئته للحرب، فجاء جيشه الصغير يوم وقف به للقتال، منخولاً من كل شائبة تضيره كجيش إمام له أهدافه المثلى.

أما الجيش الذي أخذ مواقعه من صفوف الحسن عليه السلام، ثم فر ثلثاه ونفرت به الدسائس المعادية، فإذا هو رهن الفوضى والانتقاض والثورة، فذلك هو الجيش الذي خسر به الحسن عليه السلام كل أمل من نجاح هذه الحرب.

ومن هنا ظهر أنَّ هؤلاء الأصدقاء الذين بايعوا الحسن عليه السلام وصحبوه إلى معسكراته كمجاهدين، ثم نكثوا بيعتهم وفروا إلى عدوهم أو ثاروا بإمامهم، كانوا شراً من أولئك الذين نكثوا بيعة الحسين عليه السلام قبل أن يواجهوه.

وهكذا مهد الحسن عليه السلام الأرضية المناسبة لأخيه الحسين وأصحابه عليهم السلام لجهاده – بعد أن نخلت حوادث الخيانة أنصاره – جيشاً من أروع جيوش التاريخ إخلاصاً في غايته وتفادياً في طاعته وإنْ قل عدداً.

حيث ورد في قول الإمام الحسين عليه السلام: «...فَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلاَ خَيْراً مِنْ أَصْحَابي وَلاَ أَهْلَ بَيْت أَبَرَّ وَلاَ أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَجَزَاكُمُ اللهُ عَنّي خَيْراً...». (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:٢/٩١)

أمّا الإمام الحسن عليه السلام فلم يبقى حتى من شيعته المخلصين أنصاراً يطمئن إلى جمعهم وتوجيه حركاتهم، لأنّ الفوضى التي انتشرت عدواها في جنوده كانت قد أفقدت الموقف قابلية الاستمرار على العمل، كما أشير إليه سابقاً. وأيّ فرق أعظم من هذا الفرق بين ظرفيهما من أنصارهما؟

ظروفهما من أعدائهما

وكان عدو الحسن عليه السلام هو معاوية لعنه الله، وعدو الحسين عليه السلام هو يزيد بن معاوية لعنهما الله.

وللفرق بين معاوية ويزيد ما طفح به التاريخ، من قصة البلادة السافرة في (الابن). والنظرة البعيدة العمق التي زعم الناس لها الدهاء في (الأب).

وما كان لعداوة هذين العدوين ظرفها المرتجل مع الحسن والحسين عليهما السلام، ولكنها الخصومة التاريخية التي أكل عليها الدهر وشرب بين بني هاشم وبني أُمية.

ولم تكن الأُموية يوماً من الأيام كفواً للهاشمية.

وإنّما كانت عداوتها التي تخافها على سلطانها، وتناوئها – دون هوادة –.

وكان هذا هو سر ذكرها بإزائها في أفواه الناس وعلى اسلاة أقلام المؤرخين.

وإلاّ فأين سورة الهوى من مثُل الكمال؟ وأين أنساب الخنا من المطهرين في الكتاب؟ وأين شهوة الغلب، وحب الإثرة، وألوان الفجور، من شتيت المزايا في ملكات العقل، وسمو الأخلاق، وطهارة العنصر، وآفاق العلوم التي تعاونت على تغذية الفكر الإنساني في مختلف مناحي الثقافات العالية، فأضافت إلى ذخائره ثروة لا تطاول؟ أولئك هم بنو هاشم الطالعون بالنور. وأين هؤلاء من أولئك؟

ولم يكن من الاحتمال البعيد ما قدره الحسن بن علي عليهما السلام احتمالاً قريباً – فيما لو اشتبك مع عدوه التاريخي معاوية بن أبي سفيان بن حرب في حرب يائسة مثل هذه الحرب – أن تجر الحرب بذيولها أكبر كارثة على الإسلام، وأن تبيد بمكائدها آخر نسمة تنبض بفكرة التشيع لأهل البيت عليهم السلام.

ولمعاوية قابلياته الممتازة لتنفيذ هذه الخطة وتصفية الحساب الطويل في التاريخ، وهو هو في عدائه الصريح لعلي ولأولاده ولشيعتهم.

وفيما مرَّ من الكلام على هذا الموضوع كفاية عن الإعادة.

أما الإمام الحسين عليه السلام فقد كفي مثل هذا الاحتمال حين كان خصمه الغلام المترف الذي لا يحسن قيادة المشاكل، ولا تعبئة التيارات، ولا حياكة الخطط، ثم هو لا يعنيه من الأمر إلاّ أن يكون الملك ذا الخزائن، حتى ولو واجهه الأخطل الشاعر بقوله – على رواية البيهقي –:

بـل أنــت أكـفــر مــن هــرمــز
ودينـك حـقـاً كـديـن الحـمـار

وكفى الحسين عليه السلام هذا الاحتمال، بما ضمنه سيف الإرهـاب الـذي طـارد الشيعة تحت كل حجر ومدر في الكوفة ومـا إليها، والـذي حفظ في غيابات السجون والمهاجر وكهوف الجبال سيلاً من السادة الذين كانوا يحملون مبادئ أهل البيت عليهم السلام، وكانوا يؤتمنون على إيصال هذه المبادئ إلى الأجيال بعدهم.

فرأى أن يمضي في تصميمه مطمئناً على خطته وعلى أهدافه وعلى مستقبلهما من أعدائه.

أما الحسن عليه السلام فلم يكن له أن يطمئن على مخلفاته المعنوية طمأنينة أخيه وفي أعدائه معاوية وثالوثه المخيف وخططهم الناصبة الحقود التي لا حد لفظاعتها في العداوة والحقد.

وأخـيـراً فقد أفـاد الحسين عليه السلام من غلطات معاوية في غاراته على بلاد الله الآمنة المطمئنة، وفي موقفه من شروط صلح الحسن عليه السلام، وفي قتله الحسن عليه السلام بالسم، وفي بيعته لابنه يزيد وفي أشياء كثيرة أُخرى، بما زاد حركته في وجه الأُموية قوة ومعنوية وانطباقاً صريحاً على وجهة النظر الإسلامي في الرأي العام.

وأفاد - إلى ذلك - من مزالق الشاب المأخوذ بالقرود والخمور (خليفة معاوية)، فكانت كلها عوامل تتصرف معه في تنفيذ أهدافه.

وكانت ظروفه من أعدائه وظروفه من أصدقائه تتفقان معاً على تأييد حركته، وإنجـاز مهمته، والأخـذ به إلى النصر المجنح الذي فاز به في الله وفي التاريخ.

أما الحسن عليه السلام فقد أعيته - كما بينا سابقاً - ظروفه من أصدقائه فحالت بينه وبين الجهاد، وظروفه من أعدائه فحالت بينه وبين مناجزتهم الحرب التي كان معناها الحكم على مبادئه (بالإعدام).

لذلك رأى لزاماً أن يطوّر طريقة جهاده، وأنْ يفتتح ميدانه من طريق الصلح، وصولاً إلى الجهاد الأصغر بيد أخيه الحسين عليه السلام.

وما كانت الألغام التي وضعها الحسن عليه السلام في الشروط التي أخذها على معاوية لعنه الله إلا وسـائله الدقيقة التي حكمت على معاوية وحزبه بالفشل الذريع في التاريخ.

ومن الصعب حقاً أن نميّز - بعد هذا - أي الأخوين عليهما السلام كان أكبر أثراً في جهاده، وأشد نفوذاً إلى أهدافه، وأبعد إمعاناً في النكاية بأعدائه.

ولم يبق مخفياً أنَّ تاريخ نكبات أُمية بعد عملية الحسن عليه السلام في الصلح كان متصلاً بالحسن، مرهوناً بخططه، خاضعاً لتوجيهه.

وأنّ حادثاً واحداً من أحداث تلك النكبات لم يكن ليقع كما وقع، لولا هذه العملية الناجحة التي كان من طبيعة ظروفها أن تستأثر بالنجاح، وكان من طبيعة خصومها أن يكونوا أعواناً على نجاحها من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

إذن حركة الإمام الحسين عليه السلام هي نتيجة لحركة الإمام الحسن عليه السلام، وقد بدأ الإمام الحسن عليه السلام بحفظ دماء المسلمين من أجل تشكيل الجيش الصغير في العدد الكبير في العقيدة والإيمان ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ لمقابلة الانحراف الفكري والعقائدي والاجتماعي، ولإرجاع الناس إلى الشريعة والدين.

بقلم: الشيخ راضي آل ياسين



العبـــادة وأثرهـــا في السلوك الفردي

إنّ العبادة..لها أثر كبير في تربية الفرد وتنميتها وتهذيبها عند الإنسان..لأنّ حقيقة الإنسان ليس بهذا الغلاف الظاهر المادي الذي نراه ونحسه، والذي يسعى في طلب حظه من طعام الأرض وشرابها ذلك كلّه ليس من حقيقة الإنسان في شيء.. وإنّما حقيقة الإنسان في جوهره النفيس، وما فيه من الطاقات الخلاقة التي أكملت إنسانيته. فالعبادة، هي الغذاء والنماء لهذه الروح والتي تمدها بمدد يوحي لا ينفد ولا يفيض.

نجد أنّ القرآن الكريم يرسم لنا الصورة التفصيلية للشخصية المؤمنة المستقيمة..ونجد العبادة أول معلم واضح فيها وأول شرط من شرائطها.(الدين وتذهيب السلوك:٢٥)

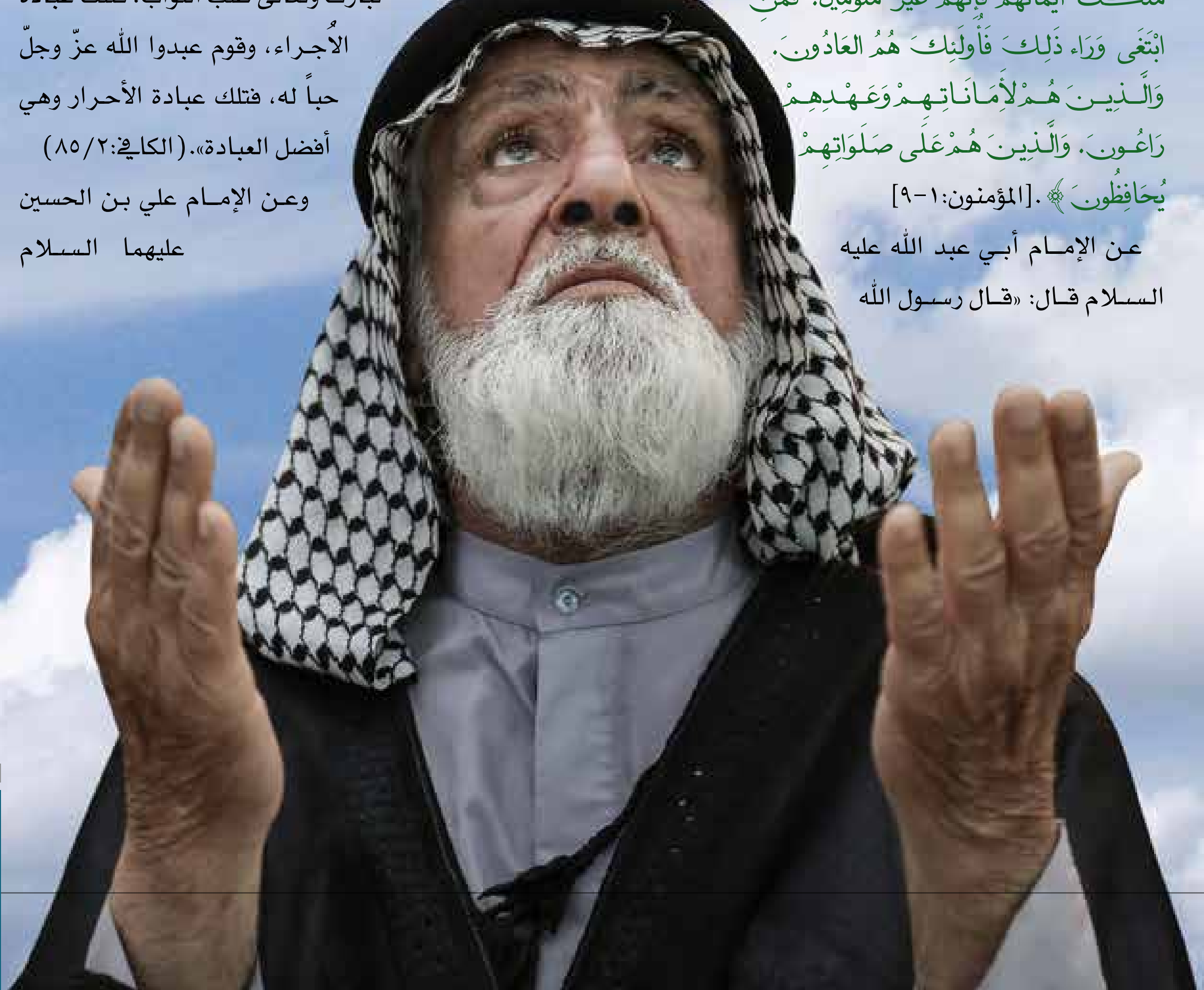
ففي سورة المؤمنون قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.[المؤمنون:١-٩]

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل الناس من عشق العبادة، فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا، على عسر أم على يسر».(الكافي الشريف:٢/٨٣)

وقال عيسى بن عبد الله للإمام أبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما العبادة؟ قال: «حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها، أما إنّك يا عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ»، قال: قلت جعلت فداك وما معرفة الناسخ من المنسوخ؟ قال: فقال: «أليس تكون مع الإمام موطناً نفسك على حسن النية في طاعته، فيمضي ذلك الإمام ويأتي إمام آخر فتوطّن نفسك على حسن النية في طاعته»؟ قال: قلت: نعم، قال: «هذا معرفة الناسخ من المنسوخ».(الكافي:٢/٨٤)

وقال عليه السلام: «إنّ العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حباً له، فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة».(الكافي:٢/٨٥)

وعن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام





قال: «من عمل بما افترض الله عليه فهو من أعبد الناس». (الكافي:/٨٦)

ويشير ابن مسكويه إلى أنّ العبادة هي تعظيم الله تعالى، وتمجيده وطاعته، وإكرام أوليائه: من الملائكة والأنبياء، والأئمة، والعمل بما توجبه الشريعة.(تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق:٣٣)

فالعبادة رابطة روحية تربط الإنسان بالمطلق وعالم الغيب والمعنويات، وبها يتصل القلب بمنعم الوجود اتصالات متنوعة، وهذه الاتصالات تجعله يستشعر الرقابة الإلهية فلا يجرأ على الانحراف، ويتوجه نحو الاستقامة. (ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام:٤٢)

والعبادة هي تشمل السلوك الفردي والاجتماعي. ومن أبرز مصاديق العبادة هو الصوم.

الصوم

إنّ للصوم موقعاً كبيراً وأثراً بالغاً.. في تربية الروح، وتنقية النفس، وتطهير الداخل، وتنمية الأخلاق والفضيلة، وتأكيد الصلاح والاستقامة..ففي الصوم، الانفتاح الكامل على حاجات الروح وتطلعات النفس، وفيه التفرغ لمطاليبها وحاجاتها الروحية والمعنوية..فنرى الإنسان الصائم منفتحاً انفتاحاً كبيراً، للتوجه إلى الله وأوامره ونواهيه وسلوكه وأخلاقه، والرغبة إليه في العبادة، والاستعداد للاستقامة والصلاح.(الدين وتهذيب السلوك:٦٨)

والصوم يعوّد الإنسان على الصبر والإرادة والقوة والعزيمة، ويعلم ضبط النفس، ويربي في الإنسان ملكة التقوى والإيمان، والصوم يكون في المؤمن عاطفة الرحمة، فإحساسه بالجوع يجعله يمد يده إلى الفقراء بما يمنع عنهم غائلة الجوع.(أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع:٧٩)

فالصوم دورة تعليمية لنمو المثل والسلوك عند الإنسان، وهو من أهم العوامل التي تربط الإنسان بخالقه، وتوقظه من غفلته وغفوته، فيندم على ما ارتكبه من المخالفات والآثام وتصحو نفسه عن المعاصي والآثام وينقطع إلى الله سبحانه وتعالى متخذاً من جوعه وعطشه وسيلة للتقرب منه تعالى. (لدين وتهذيب السلوك:٧٢)

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصوم جنة من النار».(المحاسن:٢٢٢/١)

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام». (الكافي الشريف:٦٢/٤)

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «بُني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج، والصوم والولاية...».(المحاسن:٢٨٦/١)

وقال عليه السلام أيضاً: «إنَّ الصِّيَامَ لَيْسَ مِنَ الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ وَحْدَهُ إِنَّمَا لِلصَّوْمِ شَرْطٌ يَحْتَاجُ أَنْ يُحْفَظَ حَتَّى يَتِمَّ الصَّوْمُ وَهُوَ الصَّمْتُ الدَّاخِلُ»، ثم قال: قَالَتْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ يَعْنِي صَمْتاً فَإِذَا صُمْتُمْ فَاحْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ عَنِ الْكَذِبِ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَلاَ تَنَازَعُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَغْتَابُوا وَلاَ تَمَارَوْا وَلاَ تَكْذِبُوا وَلاَ تُبَاشِرُوا وَلاَ تَخَالَفُوا وَلاَ تَغَاضَبُوا وَلاَ تَسَابُّوا وَلاَ تَشَاتَمُوا وَلاَ تُفَاتِرُوا وَلاَ تُجَادِلُوا وَلاَ

تُنَادُوا...».(النوادر:٢١/ح١٠)

وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله إمرأة تسب جارية لها وهي صائمة فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام، فقال لها: «كلي»، فقالت: إنّي صائمة، فقال: «كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، إنَّ الصوم ليس من الطعام والشراب».(الكافي الشريف:٤/٨٧)

وقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ودع المراء وأذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك».(النوادر:٢٣)

والصوم هو من مظاهر العبادة بخصوص الفرد المسلم فإذا تشابكت فروعها وتلاحمت أغصانها استطاعت أنْ تنقل الفرد المسلم إلى مكانة أرفع في بناء المجتمع، ليكون لبنة صالحة وقوة دافعة، يخطو بها المجتمع إلى الإمام خطوات تعود على الأفراد بالسعادة والخير، والنمو، والرقي والتقدم. (أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع:٨٥)

عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «حق (الصلاة) أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عزَّ وجلَّ وأنَّك فيها قائم بين يدي الله عزَّ وجلَّ فإذا علمت ذلك قمت مقام الذليل الحقير، الراغب الراهب، والراجي الخائف المستكين المتضرع، المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها... وحق (الحج) أن تعلم أنّه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك... وحق (الصوم) أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك، ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك... وحق (الصدقة) أن تعلم أنّها ذخرك عند ربك عزَّ وجلَّ ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، وكنت بما تستودعه سراً أوثق منك بما تستودعه علانية وتعلم أنها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة. وحق الهدي أن تريد به الله عزَّ وجلَّ ولا تريد به خلقه ولا تريد به إلاّ التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.(رسالة الحقوق:١٤)

الدعاء

وهو الطلب الموجه من العبد المؤمن لله سبحانه مقترناً بالتضرع والخضوع لجلب محبوب أو دفع مكروه وحيث إنّ الدعاء بهذا المعنى في طيه. روح العبادة وجوهرها.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾. (الفرقان:٧٧)

والدعاء هو رجوع العبد المؤمن الفقير إلى مولاه الغني بالغنى المطلق الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء – وذلك بالتوسل الخاشع والتوكل الواعي من أجل أنْ يعينه على تحصيل مطلب يعجز بذاته عن الوصول إليه والحصول عليه – كالجاهل الذي يرجع إلى الله العالم بكل شيء ليفيض عليه نوراً من علمه الواسع والفقير الراجع إلى الغني المطلق ليمن عليه بنفحة من عطائه وقبسة من ضيائه والمريض الراجع إلى الطبيب الحقيقي ليحقق له الشفاء ويخلصه من الداء والمجاهد المناضل في سبيل نصرة الحق الذي يرجع إلى القادر الناصر لأوليائه على أعدائه في معركة التضحية والفداء.(من وحي الإسلام:٢/١٤)

وتعتبر أدعية الإمام علي بن الحسين (السجاد) عليهما السلام مرحلة جديدة من مراحل التربية السلوكية والأخلاقية وقد تضمنت أرقى المبادئ الأخلاقية وفي وقت عصفت بالمجتمع الإسلامي رياح الانحراف استطاع الإمام السجاد عليه السلام أن ينشر من خلال الدعاء جواً روحياً في المجتمع الإسلامي يشترك في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات وشده إلى ربه، وقد وضع الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه برامج أخلاقية يسمو بها الإنسان من خلوص النية والعمل للأخرة كما رسم أداب السلوك وأصول الفضائل النفسية مثل ترك النظر إلى ما في أيدي الناس والابتعاد عن الكبر والعجب ومد يد العون للناس دون المن عليهم فهو يقول في دعائه: «اللهم حلني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتقين في بسط العدل، وكظم الغيظ وإطفاء النائرة، وإصلاح ذات البين وستر العائبة، وخفض الجناح وحسن السيرة وطيب المخالقة والسبق إلى الفضيلة وإيثار التفضل، والقول بالحق، واستقلال الخير وإنْ كثر من قولي وفعلي واستكثار الشر وإنْ قل من قولي وفعلي».(الصحيفة السجادية:٧٣)

نخلص من هذا أنّ الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والدعاء، هي للبقاء في الطريق المستقيم وصلاحه واستقامة الإنسان وهدايته، وبها يتعلم الصح من الخطأ، وذلك لينال الإنسان المؤمن السعادة في الدنيا وبالآخرة.

بقلم: مها نادر عبد محسن



معرفة أهل البيت عليهم السلام

ورد في دعاء زمن الغيبة قول إمامنا الصادق عليه السلام «اللهم عرفني نفسك فإنَّك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك فإنَّك إن لم تعرفني رسول لم أعرف حجتك ، اللّه عرفني حجتك فإنَّك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني).

من الأُمور الواضحة والبديهية أنَّ اللّه عزَّ وجلَّ لم يخلق الخلق إلا لأجل معرفته ومعرفة نبيه والأئمة المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

ومن الواضح والجلي أيضاً أنَّ هذه المعرفة غير ممكنة للخلق باجتهاد منهم من غير معونة من اللّه ونبيه والأئمة عليهم السلام، ذلك لعدة أسباب ومنها، أنَّ سائر الخلق وجود محدود، وأما النبي وأهل بيته عليهم السلام فهم وجود غير محدود، ولا شك أنَّ المحدود لا يمكنه معرفة غير المحدود إلا بتعريف منه، ولهذا صدر عن المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين الكثير من الأخبار والروايات التي تعرف اللّه ونبيه والأئمة عليهم السلام، لأنَّ هذه المعرفة هي الدين الذي لا يقبل اللّه عزَّ وجلَّ من أحد عملاً بدونه، ومن جملة ما صدر عنهم صلوات اللّه عليهم في هذا الخصوص (الزيارة الجامعة الكبيرة) المروية عن مولانا وإمامنا علي بن محمد الهادي عليهما السلام.

وقد اعتنى كثير من علماء الإمامية رضوان اللّه عليهم اعتناءً كبيراً بهذه الزيارة لما تحتويه هذه الزيارة من تعريف لا نظير له ولا مثيل لمقامات التوحيد، ومقامات النبي الأكرم والأئمة المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

بل ولاحتوائها أيضاً على أوصاف أتباع المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين، وأوصاف أعدائهم ومبغضيهم، كما لم تخلُ هذه الزيارة عن ذكر القيامة وأحوالها، وذكر قيام القائم روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، وذكر أحوال الرجعة، وغير ذلك من الأُمور غير المتناهية، ولأجل هذا وغيره مما لم نحط به علماً سميت هذه الزيارة

بالزيارة الجامعة الكبيرة.

وكما سلف قد اعتنى كثير من علماء الإمامية بهذه الزيارة وتعرضوا لشرحها بشروح كثيرة، ومن هذا الشروح:

– الأعلام اللامعة في شرح الجامعة: للسيد محمد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي المتوفى حدود سنة (١١٦٠هـ). (الذريعة:٢/٢٣٩)

– الإلهامات الرضوية في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة المشهورة (باللغة الفارسية): للسيد محمد بن السيد محمود الحسيني اللواساني الطهراني الشهير بالسيد محمد العصار المتوفى (١٣٥٥هـ).(الذريعة:٢/٣٠٢)

– شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المتوفى (١٢٤١هـ)، وهو مطبوع في أربعة مجلدات.

– الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: للسيد عبد الله شبر المتوفى (١٢٤٢هـ).

– البروق اللامعة (تعليقات على الزيارة الجامعة الكبيرة المعروفة وعلى بعض الأدعية المتداولة أيضاً): للشيخ علي بن محمد جعفر الاسترابادي الطهراني المتوفى (١٣١٥هـ). (الذريعة:٣/٨٩)

– شرح الزيارة الجامعة: للمولى محمد تقي المجلسي، والد العلامة المجلسي صاحب البحار المتوفى (١٠٧٠هـ). (الذريعة:١٣/٣٠٥)

– شرح الزيارة الجامعة (باللغة الفارسية): للعلامة السيد حسين بن السيد محمد تقي الهمداني المتوفى (١٣٤٤هـ)، باسم (الشموس الطالعة). (الذريعة:١٣/٣٠٥)

– شرح الزيارة الجامعة: للعلامة الميرزا علي نقي ابن السيد حسين المعروف بالحاج آغا ابن السيد المجاهد الطباطبائي الحائري المتوفى (١٢٨٩هـ). (الذريعة:١٣/٣٠٦)

– شرح الزيارة الجامعة (باللغة الفارسية): للميرزا محمد علي بن المولى محمد نصير الجهاردهي الرشتي النجفي المتوفى (١٣٣٤هـ).(الذريعة:١٣/٣٠٦)

– شرح الزيارة الجامعة: للسيد بهاء الدين محمد بن محمد باقر الحسيني النائيني المختاري.(الذريعة:١٣/٣٠٦)

– شمس طالعة في شرح الزيارة الجامعة (باللغة الفارسية): للسيد عبد الله بن أبي القاسم الموسوي البلادي. (الذريعة:١٤/٢٢٣)

– شمس طالعة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: للميرزا محمد بن أبي القاسم ناصر حكمت طبيب زاده الأصفهاني المعاصر الأحمد آبادي. (الذريعة:١٤/٢٢٤)

– الشموس الطالعة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : للسيد ريحان الله ابن السيد جعفر الدارابي البروجردي المتوفى (١٣٢٨هـ). (الذريعة:١٤/٢٣٤)

– الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة: للشيخ محمد رضا بن القاسم الغراوي المعاصر. (الذريعة:١٤/٦٠)

من هذه الشروح (شرح الزيارة الجامعة الكبيرة) للشيخ الأجل أحمد بن زين الدين الأحسائي الأوحد، يعد من أوسع وأكبر الشروح.

بعض صفات المؤمنين في الزيارة الجامعة الكبيرة

فخلال هذه الأسطر نحاول تسليط الضوء على بعض صفات المؤمنين التي وردت في الزيارة الشريفة.

لقد اهتم الشيخ الاحسائي اهتماماً بليغاً بالإضافة إلى بيان الكثير من أسرار ومقامات التوحيد، ومقامات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومقامات المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، كذلك اهتم ببيان صفات المؤمنين ومقاماتهم، وما الذي يجب عليهم فعله حتى يصلوا إلى أعلى درجات القرب المكنة من أهل بيت النبي الأعظم صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وقد ظهر ذلك في مواضع كثيرة من هذا شرحه للزيارة المباركة لكنه ظهر بصورة أكثر تركيزاً في الجزء الثالث من هذا الشرح المبارك، وخصوصاً اعتباراً من بيان الشيخ لقول مولانا الهادي صلوات الله عليه «بأبي أنتم وأُمي وأهلي ومالي وأسرتي أشهد الله وأشهدكم أنّي مؤمن بكم...»، والآن أوان الشروع في بيان بعض من تلك الصفات.

فمن الصفات التي يتحلى بها أهل المقامات العالية من شيعة ومحبي أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو مقام بذل أغلى وأنفس ما يمتلكه أو ينتمي إليه الإنسان في سبيل آل بيت العصمة والرسالة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عاداً ذلك البذل من أبسط حقوق المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين على محبيهم ولا يمكن الوصول إلى هذا المقام إلا أن يكون هذا الفرد عارفاً بكل المقامات التي فصلها الإمام الهادي عليه السلام في

الفقرات التي سبقت فقرة «بأبي أنتم وأُمـي» من كونهم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة... من هذه المقامات العظيمة، وأن يعرف معنى هذه المقامات ولو إجمالاً حسب الوسع والطاقة فكلما زادت معرفة العبد بهذه المقامات كلما كان بذله للغالي والنفيس عنده أهون وأسهل.

العهد والميثاق

من الأُمـور التي يجب على كل مـوالٍ معرفتها هو أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أخذ على العباد في أول وجودهم عهداً وميثاقاً بالإقرار له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة والرسالة ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وأولادها الأحد عشر المعصومين بالولاية وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد شهد هو بنفسه سبحانه على هذا الميثاق ثم أشهد عليه النبي وأهـل بيته المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأشهد كذلك الملائكة وأشهد نفس ذلك الموالي على هذا الميثاق وعندما يقدم الموالي إلى هذه الدنيا فإنَّه يعمل بمقتضى هذا الميثاق وهذا من أهم صفات المؤمنين والموالين.

وقد يتّضح لنا أنّ من أول شرائط هذا الميثاق أن يؤمن العبد لآل العصمة عليهم السلام بجميع ما لهم من المقامات التي أعطاهم الله تعالى مثل مقام البيان أو مقام إثبات التوحيد، ومقام المعاني، ومقام الأبـواب، ومقام الإمامة والظهور البشري، وإن كان المـوالي يقر على نفسه بعدم معرفته لحقيقة وكنه هذه المقامات، وبل وأرى أنَّه لا يعرف حتى ظاهرها إلا بتعليم منهم، ولا يفهم مما علموه إلا أُموراً ظاهرية على مقدار عقل العـارف لا على رتبة ظاهرهم صلوات الله عليهم أجمعين، وعلى الرغم من أنَّه لا يدرك إلا هذا الظاهر فالواجب عليه الإيمان بظاهره وباطنه، بل وعليه أن يصف المعصومين بكل كمال وأن لا يعتقد فيهم أي نقيصة ثم ينزههم حتى عن هذا الكمال الذي فهمه وعرفه.

وأيضاً يجب عليهم أن يؤمن بأنَّ الله أطلعهم على جميع شؤونهم وجميع شؤون سائر الخلق من الذرة إلى الدرة ومن العرش إلى الفرش ظاهرها وباطنها، وأنَّهم لا يخفى عليهم خافية من جميع شؤون هذا الوجود، وما أراده الله تعالى من سائر خلقه من معرفة صفاته وأفعاله وعباداته فعنهم صدر وإليهم يعودوهم المحيطون بعلمه، وكذلك ما أجـراه الله تعالى على أعدائهم من جميع شؤونهم أيضاً.

ولا يكفي هذا الإيمان بهم وحده بل يجب مع هذا الإيمان أن يكفر الموالي بما نسبه أعداؤهم لأنفسهم من الفضائل والمناقب، وما اغتصبوه من حقوق آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

معرفتهم بالنورانية

من البحوث المهمة هو بحث معرفة أهل العصمة عليهم السلام بالنورانية ووجوبه، كما نص عليه الحديث المشهور بحديث معرفتهم بـالـنورانية عندما قـال مـولانا أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً سلمان وأبا ذر عندما قالا له (جِئْنَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسْأَلُكَ عَنْ مَعْرِفَتِكَ بِالنُّورَانِيَّةِ قَالَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ: «مَرْحَباً بِكُمَا مِنْ وَلِيَّيْنِ مُتَعَاهِدَيْنِ لدينه لَسْتُمَا بِمُقَصِّرَيْنِ لَعَمْرِي إِنَّ ذَلِكَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ»، ثُمَّ قَالَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ: «يَا سَلْمَانُ وَيَا جُنْدَبُ قَالاَ لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»، قَالَ عليه السلام: «إِنَّهُ لاَ يَسْتَكْمِلُ أَحَدٌ الإِيمَانَ حَتَّى يَعْرِفَنِي كُنْهَ مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ فَإِذَا عَرَفَنِي بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ فَقَدِ امْتَحَنَ الله قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ وَشَرَحَ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَصَارَ عَارِفاً مُسْتَبْصِراً وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ فَهُوَ شَاكٌّ وَمُرْتَابٌ، يَا سَلْمَانُ وَيَا جُنْدَبُ» قَالا لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ عليه السلام «مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ مَعْرِفَةُ الله عَزَّ وَجَلَ وَمَعْرِفَةُ الله عَزَّ وَجَلَّ مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ وَهُوَ الدِّينُ الْخَالِص»).

النتيجة

فما نفهمه من معرفة هـذا المقام الـذي هو من أعظم المقامات، هو أنّ ما كلف به العباد ليس معرفة حقيقتهم النورانية وكنههم النوراني، وذلك لأنّه شيء لا يمكن لأحد ممن في الوجود إدراكه ولا فهمه ولا معرفته، لأنَّ من شروط المعرفة والعلم الإحاطة بالمعلوم وهم عليهم السلام لا يحيط بهم شيء في الوجود، وهم المحيطون بكل ما في عالم الوجود، وأظن أنَّ المراد بمعرفتهم بالنورانية هو معرفتهم بما قذف الله في قلوب محبيهم من أنوارهم وإشراقاتهم، ومعرفة الحقيقة التي سأل عنها كميل بن زيـاد رضوان الله عليه وأجاب عنها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بقوله «كشف سبحات الجلال بغير إشارة» وإلى أن قال «نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره».

بقلم: الشيخ حسين المطوع



الافتراءات والأكاذيب على النّبي صلى الله عليه وآله

قد يكون بين القرّاء من يودُّ التعرف على أُسطورة (الغرانيق) الّتي رواها بعض مؤرّخي السنّة ومعرفة جذورها كما يودّ التعرف على الأيادي الخفية الّتي كانت وراء اختلاق هذه الأُسطورة، وأمثالها من الأكاذيب، والمفتريات.

كان اليهودُ وبخاصّة أحبارهم ولا يزالون العدوّ رقم واحد للإسلام.

وقد عَمَد فريقٌ منهم ـ مثل (كعب الأحبار) وغيره ـ ممّن تظاهروا باعتناق الإسلام إلى تحريف الحقائق باختلاق الأكاذيب وجعل الأخبار المفتراة على لسان الأنبياء.(وهي التي يطلق عليها الإسرائيليات)

ولقد أدرج بعضُ المؤلفين المسلمين بعض هذه المفتريات في مؤلفاتهم وجعلوها في عداد الحديث والتاريخ الصحيح من دون تمحيصها والتحقيق فيها، ثقة بكل من أظهر الإسلام وتظاهر بالإيمان ، وانضم إلى صفوف المسلمين!!

ولكنَّ اليوم حيث يجد العلماء فرصة أكبر للتحقيق في هذا النوع من الأحاديث والأخبار، والمنقولات والنصوص وبخاصة بعد أن توفّرت لديهم، بفضل جهود طائفة من المحققين المسلمين القواعد والضوابط الكفيلة بتمييز الحسن عن القبيح، والصحيح عن السقيم، وفرز الحقائق التاريخية عن القصص الخياليّة، والروايات الأُسطورية.

من هنا لا ينبغي لكاتب مسلم ملتزم أن يعتبر كل ما يراه في مصنّف تاريخيّ أو غير تاريخيّ متقدّم أمراً صحيحاً مقطوعاً بسلامته، ويرويه في كتابه من دون دراسة وتحقيق، وتمحيص وتقييم.

ما هي أُسطورة الغرانيق؟!

ورد في روايات أبناء العامة: أنَّ (الأسود بن المطلب) و(الوليد بن المغيرة) و(أُمية بن خلف) و(العاص بن وائل) وهم من زعماء قريش وأسيادها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمَّد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبدُ فنشترك نحن وأنت في الأمر!!

وقالوا ذلك رفعاً للاختلاف، وتضييقاً لشقّة الخلاف فأنزلَ الله سبحانه سورة الكافرين الّتي أمر فيها نبيّه أن يقول في جوابهم: ﴿لا أعْبدُ ما تَعْبدُونَ * وَلا أنْتمْ عابِدُونَ ما أعْبُد﴾.[الكافرون:٢-٣]

ومع ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرغب في أن يساوم قريشاً ويجاريهم وكان يقول في نفسه: ليت نزل في ذلك أمر يقرّبنا من قريش.

وذات يوم وبينما كان صلى الله عليه وآله يتلو القرآن عند الكعبة ويقرأ سورة (النجم) فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أفَرَأيْتُمْ اللّاتَ وَالعُزّى * وَمَناةَ الثّالِثَةَ الأُخْرى﴾.[النجم:١٩-٢٠] أجرى الشيطان على لسانه الجُملتين التاليتين: (تِلْكَ الْغَرانِيقُ الْعُلى مِنْها الشفاعَةُ تُرْتَجى).

فقرأهما من دون اختيار، وقرأ ما بعدها من الآيات، ولمّا بلغ آية السجدة سجد هو ومن حضر في المسجد من المسلمين والمشركين أمام الأصنام، إلاّ (الوليد) الّذي عاقه كبر سنه عن السجود!!

وفرح المشركون، وارتفعت نداءاتهم يقولون: لقد ذكر (محمَّد) آلهتنا بخير.

وانتشر نبأ هذه المصالحة والتقارب بين رسول الله صلى الله عليه وآله والمشركين، المهاجرين إلى الحبشة، فعاد على أثرها جماعة منهم إلى مكة، ولكنّهم ما إنْ كانوا على مشارف (مكة) إلاّ وعرفوا بأنّ الأمر تغير ثانية، وأنَّ ملك الوحي نزل على النبيّ وأمره مرة أُخرى بمخالفة الأصنام ومجاهدة الكفار والمشركين، وأخبره بأنَّ الشيطان هو الّذي أجرى تينك الجملتين على لسانه، وأنَّه لم يقله وأنَّه ليس من (الوحي) في شيء أبداً.

وعندئذ نزلت الآيات (٥٢ـ٥٤) من سورة (الحج) الّتي يقول اللّه تعالى فيها: ﴿وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُول وَلا نَبِيٍّ إلاّ إذا تَمنّى ألْقى الشَيْطانُ في أُمْنِيّتِه فَيَنْسَخُ الله ما يُلْقي الشيْطانَ ثم يُحكِمُ الله آياتِهِ وَالله عَلِيمٌ حَكيْمٌ * لِيَجْعَلَ ما يُلْقي الشَيْطانُ فِتْنَةً لِلّذين فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقاسيَةِ قُلُوبِهِم وإن الظّالِمينَ لَفِيْ شِقاق بَعِيْد وَلِيَعْلَمَ الّذينَ أُوتُوا العِلْم أَنَّه الحقّ مِنْ رَبّك فيُؤمنُوا به فتُخبتَ لَهُ قُلُوبُهم وإنّ اللّه لَهادِ الّذينَ آمَنُوا إلى صِراط مُسْتَقيمْ﴾.

هذه هي خلاصة أسطورة (الغرانيق) الّتي أوردها (الطبري) في تاريخه. (تاريخ الطبري:٩/٢٣٦-٢٣٧)

ويذكرها ويردّدها المستشرقون المغرضون بشيء كبير من التطويل والتفصيل!!

محاسبة بسيطة لهذه الأُسطورة

لنفترض أنَّ (محمّداً) لم يكن نبياً مرسلاً ولكن هل يمكن لأحد أن ينكر ذكاءه وحنكته، وفطنته وعقله. فهل لعاقل فَطِن، محنَّك لبيب مثله أن يفعل مثل هذا؟!

إنّ الذكيّ اللبيب الّذي يجد أنصاره يتكاثرون ويتزايدون يوماً بعد يوم وتقوى صفوفهم أكثر فأكثر بينما تتفرقُ صفوفُ أعدائه ومناوئيه ويتناقص معارضوه وخصومُه، هل يقدم في مثل هذه الحالة على عمل يوجب أن يسيء الجميعُ ظنَّهم به، ويشك الصديق والعدوُّ في أمره؟!

هل تصدّق أنت أيها القارئ الكريم أنَّ رجلاً ترك جميع الأموال والمناصب الّتي عرضتها قريش عليه، في سبيل دينه الحنيف، وعقيدة التوحيد أن يصبح مرة أُخرى من دعاة الشرك، ومروّجي الوثنية؟؟!

إنّنا لن نصدّق بمثل هذا الاحتمال في حق مصلح أو سياسي عادي من الساسة والمصلحين فكيف برسول الله ونبيّه العظيم.

رأي العقل في هذه القصة

١. إنَّ العقل يحكم بأنَّ المرشدين الذين يبعثهم الله تعالى إلى البشرية لهدايتها وإرشادها، وتزكيتها وتعليمها مصونون عن أي خطأ وزلل بقوة (العصمة) الّتي أُوتوها، إذ لو تعرض مثل هؤلاء إلى الخطأ والزلل في أُمور الدين لزالت ثقة الناس بهم وبكلامهم.

يجب علينا أن نقارن بين أمثال هذه القصص، وبين هذا الأصل العقائديّ المنطقي ونعالج بواسطة معتقداتنا القوية المبرهَنة متشابهات التاريخ ومعضلاته.

إنّ من المسلَّم أنَّ عصمة رسول اللّه صلى الله عليه وآله كانت تمنعه وتحفظه من أي نوع من هذه الحوادث في تبليغ رسالته السماوية.

٢. إنّ هذه الأسطورة تقوم أساساً على أنَّ النبيّ قد تعب من أداء مهمَّته الّتي ألقاها الله سبحانه عليه، وقد شقَّ عليه ابتعاد الوثنيّين عنه، فكان يبحث عن مخلَص من هذا الوضع المتعِب، يكون طريقاً ـ حسب تصوره ـ إلى إصلاح وضعهم!!

ولكن العقل يقضي بأنَّ على الأنبياء أن يكونوا صابرين حلماء أكثر ممّا يتصور، وأن يكونوا مضرب المثل عند الجميع في ذلك، فلا يُحدّثوا أنفسَهم بالتهرّب من المسؤولية وترك الساحة مطلقاً، مهما اشتدّت الظروف، وتأزّمت الأحوال.

بينما لو صحّت هذه الرواية ـ الأسطورة ـ لكانت دليلاً على أنَّ بَطلَ حديثنا قد فَقَد عنان الصبر وأفلت منه زمام الثبات والاستقامة وأنَّه بالتالي تعب وملّ، وضني وكلّ، وهو أمرٌ لا ينسجم مع ما يحكم به العقل السليمُ في حق الأنبياء، كما

لا يتفق كذلك مع ما عهدناه من سوابق رسول الله صلى الله عليه وآله ومن مستقبله أبداً.

إنَّ مختلق هذه الأسطورة لم يمرّ بخاطره وباله أنَّ القرآن الكريم شهد ببطلان هذه القصة، إذ يعد الله تعالى نبيه الكريم، بأن لا يتسرّب إلى القرآن أي شيء من الباطل إذ قال: ﴿ لا يَاتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ ﴾. [فصلت:٤٢]

كما وعده أيضاً بأن يَصونه عبَر جميع أدوار البشرية من أي حادث سيّء إذ قال سبحانه: ﴿ إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِكْرَ وَإنّا لَهُ لَحافِظُون ﴾. [الحجر:٩]



ومع ذلك كيف يستطيع الشيطان الرجيم عدو الله أن ينتصر على رسول الله صلى الله عليه وآله ويسرّب إلى القرآن شيئاً باطلاً، ويصبح القرآنُ الّذي تقوم معارفه وتعاليمه على أساس معاداة الوثنية ومحاربتها داعياً إلى الوثنية؟؟!!

إنَّه لأمر عجيبٌ جداً أن يفتري مختلقُ هذه الأسطورة أمراً ضدَّ التوحيد في موضع قد كذّبه القرآنُ قبل هذا المكان بقليل إذ قال الله تعالى ﴿ وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحى ﴾. [النجم:٣-٤]

فكيف يترك الله نبيّه ـ وقد وعده بهذا الوعد ـ من دون حفيظ، ويسمح للشيطان بأن يتصرف في قلبه وعقله ولسانه؟؟

إنَّ هذه الأدلة العقلية إنّما تفيد من يكون مؤمناً بنبوة محمَّد صلى الله عليه وآله ورسالته.

وأمّا المستشرقون الذين لا يعتقدون بنبوته، ويعمدون إلى شرح ونقل وترديد أمثال هذه الأساطير للحطّ من شأن دينه ورسالته فلا تكفيهم هذه الدلائل، فلابدّ أن ندخل معهم في البحث من باب آخر.

تكذيب القصَّة من طريق آخر

إنّ النصّ التاريخيّ يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ هذه السورة، وكبار قريش وأكثرهم من عمالقة الكلام، وأبطال الفصاحة والبلاغة العربية حضور في المسجد ومنهم (الوليد بن المغيرة)، متكلم العرب ومنطيقها المفوّه المعروف بينهم بالذكاء وحصافة العقل والنباهة، وقد سمعوا جميعاً هذه السورة إلى خاتمها حيث سجد الجميع بسجدتها.

فكيف اكتفى هذا الجمعُ المؤسسُ للفصاحة والبلاغة الذين كانوا ينقدون كل ما يعرض عليهم نقداً دقيقاً؟

كيف اكتفوا بتينك الجملتين اللتين امتدحتا آلهتهم، وقد تضمنت الآيات السابقة عليهما، واللاحقة لهما على شتم آلهتم وتفنيدها، والازدراء بها بصورة صارخة وصريحة؟!

كيف تصور مختلق هذه الأكذوبة الفاضحة، تلك الجماعة أصحاب اللغة العربية وآباءها ونقّاد الكلام المعدودين عند العرب كلّها من عمالقة الفصاحة والبلاغة بلا منازع، والذين كانوا أعرف من غيرهم بإشارات تلك اللغة، وكناياتها (فضلاً عن تصريحاتها).

كيف اكتفى هؤلاء بتينك العبارتين في امتداح آلهتهم، وغفلوا عما سبقها ولحقها من الذمّ لها والطعن الصارخ فيها؟

إنَّه لا يمكن قط أن نخدع العادّيين من الناس بهاتين الجملتين المحفوفتين بكلام مطوَّل يذم عقائدهم وسلوكهم فكيف بمن عُرف باللب، والحصافة، والحكمة والذكاء؟

وها نحن ندرج هنا الآيات المتعلّقة بالمقام ونترك أصفاراً (وفراغاً) في مكان الجملتين اللتين اُدّعي إضافتهما، ثم نترك للقارئ نفسه أن يقيم بنفسه هل لتينَك الجملتين مكاناً بين هذه الآيات (الّتي وردت في ذمّ الأصنام والقدح فيها):

وإليك هذه الآيات: ﴿ أفَرَأيْتُمُ اللاّتَ والعُزّى وَمَناةَ الثالِثَةَ الأُخرى... ﴾. ﴿ أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثى تِلْكَ إذاً قِسْمَةٌ ضِيزى * إنْ هِيَ إلاّ أسماء سَمَّيْتُمُوها أنْتُمْ وَآباؤُكم ما أنْزَلَ اللهُ بها مِنْ سُلْطان ﴾.

ثم هل يسمحُ إنسانٌ عاديّ لنفسه أن يكفَّ عن معاداة نبيٍّ هاجَمَ عقائدُهُ طيلة عَشرة أعوام، وهدر استقلاله وكيانه، وجرَّ عليه الشقاء بتسفيه أحلامه، وشتم آلهته، لعبارات متناقضة وكلام خليط من الذّم الكبير والمدح العابر.

بقلم: الشيخ جعفر السبحاني

وجود الصانع الحكيم

الشبهة الأُولى

قال الإلهييون: (أنّ لكل شيء خالقاً) فيقال من خلق الله عزّ وجلّ بعدما كان لكل شيء خالق؟

الجواب

حينما نقول إنَّ لكل شيء خالقاً نقصد من كلّ شيء (كل شي حادث وممكن الوجود) فهذه القاعدة الكلّية صادقة فقط على خصوص الأشياء التي لم تكن موجودة من قبل، وحدثت فيما بعد فلا تشمل واجب الوجود الذي كان منذ الأزل ويبقى إلى الأبد، فوجوده أزليّ لا يحتاج إلى خالق لكي يكون السؤال عن خالقه؟

فهو قائم بذاته ولم يكن معدوماً من قبل أبداً لكي يحتاج إلى علّة موجدة.

الشبهة الثانية

إذا كان الله موجوداً فلماذا لم يكن مرئياً؟ ولا يقبل ذهن الإنسان أن يعتقد بوجود شيء لا يمكن رؤيته؟

الجواب

إنّه لا يوجد عاقلٌ يجعل أساس إنكاره للوقائع المادية عدم رؤيته، وعدم إحساسه لها من المادّيات، فضلاً عن الحقائق غير المادّية.

ومن الواضح إثبات حقيقة علمية عن طريق غير إحساس، إذ لو لم يمكن إثبات حقيقة علمية إلاّ بالإحساس المستقيم المباشر، لخرج أكثر الحقائق العلمية عن كونها ثابتة علمية إذ لا يدخل كثير منها في الحسّ والتجربة.

وعلى ضوء هذا فإنكار وجود الله تعالى وكل ما وراء المرئيات والمسموعات بعيد عن المنطق والأُصول العقلية المتعارفة، فإذا أثبت بالدليل العلمي عدم قدرة الحواس الظاهرة على معرفة جميع الموجودات فلا ينبغي لنا أن نتصور جميع الموجودات فيما ندركه بحواسّنا، وذلك أنَّ العقل والعلم يحكمان اليوم بوجود ذرّات من الأشياء والطاقات التي لا نراها ولا يمكننا إحساسها بأيّ واحدة من حواسّنا.

ولذلك نقول: إنّ الذي يقودنا إلى الواقعيات بصورة كاملة هو العقل والفكر.

الشبهة الثالثة

كيف نؤمن ونعتقد بإلهٍ لم نره؟ أي كيف للإنسان أن يعتقد ويؤمن بموجودٍ لا يدركه، إذ من يعتقد بالله يقول إنّ الله لا جسم له ولا مكان ولا زمان ولا لون وهكذا، فبماذا يدرك مثل الموجود؟ إنّنا لا نؤمن إلاّ بما لا تعجز عن إدراكه حواسّنا، والذي لا جسم له ولا مكان ولا زمان ولا لون... لا وجود له أصلاً.

الجواب

إنّ نطاق العلوم الطبيعية إنّما يقتصر على الموجودات المادّية الطبيعية فقط، إنّ الله وكل موجود ما وراء الطبيعة خارج عن العلوم الطبيعية، وما كان كذلك لا يمكن أن يتصوّر إدراكه بالأسباب الطبيعية أبداً.

وما يراد إثباته بالأسباب الطبيعية لا يعتبر إلهاً من وجهة نظر الإلهيّين، لأنّ ما تثبته الأسباب الطبيعية لا يتعدّى حدود المادّة وخواصّها فكيف يمكن اعتبار ما هو مادّي وطبيعي خالقاً للمادة والطبيعة؟

لأنّ أساس عقائد الإلهيين هو أنّ الله منزّه من المادّة وعوارضها بصورة كاملة، ولا يدرك بأيّة أداة من الأدوات المادّية، وأنّ الطريق إلى معرفة كل موجود في العالم ليس منحصراً بالحواسّ والأسباب المادّية، بل كثير من الموجودات لا يمكن أن يُعرف إلاّ عبر آثاره، لأنّ العلماء في عصرنا هذا يتحدثون عن القوّة الجاذبة على الرغم من

أن أحداً لم يجدها وجدان الحسّ المادّي، وإنّما آثارها هي التي تدل عليها، وكذا يتحدثون عن الروح والعقل والجنون والحبّ والبغض وأشباه ذلك ممّا ليس بمتناول الحسّ إلاّ بآثارها فحسب.

الشبهة الرابعة

هذه الشبهة واردة انطلاقاً من مفهومي الزمان والمكان فيقال: (أين الله ومتى وجد)؟

الجواب

إنّ ما يحتاج في وجوده إلى الزمان والمكان هو الموجود الممكن المادّي، وأمّا واجب الوجود لذاته والموجود الأزليّ الأبديّ فلا يحيطه زمان ولا يكون في مكان، بل هو الذي يحيط بكل الأزمنة والأمكنة فهو لا يحتاج لصفتي الزمان والمكان، بل هو خالق الزمان والمكان فلا يصح أن يقال: (أين الله ومتى وجد؟).

الشبهة الخامسة

إنَّ هذا الكون وُجد (صدفةً)، وليس بحاجة إلى خالق موجد.

الجواب

إنَّ القول (بالصدفة) قولٌ مردود، مرفوض عقلاً وعلماً والأمثلة الدالّة على استحالة (الصدفة) كثيرة، ولكن نكتفي بمثالٍ واحد تجنّباً للإطالة.

أقول: لا يمكن أن نجد قصراً مشيّداً بدون مهندسٍ وبانٍ ومما يروى في هذا الصدد أنَّ أحد الملوك شكّك في وجود الخالق عزّ وجلّ، ولمّا أحسّ وزيره بذلك أمر ببناء قصر فخم جميل تحيطه الأنهار والبساتين، ولمّا تمّ بناؤه اصطحب الملك معه في جولة ترفيهية، وجعل طريقه على ذلك القصر وتوقف عنده، فأعجب الملك بالقصر كثيراً فسأل عن بانيه ومهندسه فأجابه الوزير: ليس لهذا القصر من مهندسٍ ولا بانٍ، وإنّما وجد وحده هكذا، فغضب الملك من جواب هذا قائلاً: (أتهزأ بي؟).

فأجابه الوزير: إذا كان لا يمكن أن يوجد هذا القصر وحده بدون مهندٍ وبانٍ؟! فما بالك بوجود هذا العالم بدون خالق؟

وبهذه الطريقة استطاع الوزير أن يزيل الشك من نفس الملك، ويصبح على يقين بوجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى، وعليه فلا مجال للقول بالصدفة، ولابدّ من الإيمان بوجود الله الخالق تعالى ولا مجال للشك في وجوده كما في قوله تعالى: ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.[إبراهيم:١٠]

الشبهة السادسة

قال الإلهيون: (إنَّ الله خلق العالم من عدم) فيقال في توضيح الإشكال: إنّ ظاهر هذه العبارة يفيد أنَّ (العدم) صار منشأ لوجود العالم، وهو من البطلان بمكان لا يخفى على أحد، إذ كيف يصير العدم منشأ للوجود والحال أنّ العدم ليس شيئاً بتاتاً؟

الجواب

توضيح هذه الشبهة يتوقف على مقدمة وهي:

إنّ الموجودات الممكنة على قسمين: الموجودات المادّية، والموجودات المجرّدة.

والفرق بينهما في مقام الخلق والإيجاد أنَّ الموجود المادّي يحتاج إلى العلّة المادّية كما يحتاج إلى العلّة الفاعلية والغائية.

وأمّا الموجود المجرّد فلا يحتاج إلى العلّة المادّية.

إذا عرفت هذه المقدمة فاعلم أنّ مراد الإلهيين من تلك العبارة ليس كون العدم علّة مادّية للعالم ككون الخشب علّة مادّية للباب أو الكرسيّ، بل مرادهم كان العالم معدوماً ثم وجد بفعل الخالق الحكيم.

وبعبارة واضحة ليست تلك العبارة مثل قولنا:

إنَّ هذا الباب من الخشب أو من حديد فإنّ (من) لبيان مصدر الاشتقاق بخلاف ما في العبارة الدارجة بين الإلهيين حينما يقولون (العالم خُلق من عدم) إذ يقصدون أن العالم بجوهره وعرضه وبمادّته وصورته خُلق ووجد بفعل الخالق القدير بعدما لم يكن أصلاً.

الشيخ علي الباماياني

من دعاة الإسلام

إنّ تاريخنا الإسلامي حافل بأروع البطولات الشامخة التي سجلها بأحرف من نور تضيء الطريق للعاملين في سبيل الله والذابين عن حياض الدين الحنيف، هؤلاء هم النفر القليل والصفوة المختارة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

هؤلاء علمهم الإسلام معنى الحرية والكرامة والإنسانية، فلم يفرق بين الناس لشرف مولد أو لجاه منبت، ولكن بين النفوس لما تقدم من خير أو تعمل من شر كما في صريح الآية الكريمة: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ...﴾.[الحجرات:١٣]

هؤلاء مثلنا الأعلى في التضحية والجهاد أمثال عمار ابن ياسر وصهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان المحمدي وأبي ذر الغفاري.

وإليك أيها القارئ الكريم حياة بطل من أبطال الإسلام وداعياً من دعاته ألا وهو أبو ذر الغفاري رضوان الله عيه الذي قسا عليه المجتمع المكي آنذاك وأذاقه صنوف الأذى وألوان العذاب



ولكن هذا الرجل العظيم لم تفتر عزيمته، بل ازداد إيماناً بالله تعالى سراً وعلانية والذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «...مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلاَ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍ...».(كتاب سليم بن قيس:٢/٦٥٩)

فإنّ أبا ذر الغفاري لم يكتفِ بالإيمان بالله وحده، شاهد رجل أبا ذر يستهزئ بالأصنام ويسخف بها ويقول (لا إله إلا الله) فقال له الرجل (إن رجلاً بمكة يقول ما تقوله ويزعم أنَّه نبي وهو محمد بن عبد الله) وهبت قريش في إيذاء النبي محمد صلى الله عليه وآله ووقفت في طريق الإسلام ودعوته المباركة باذلة كل شيء في سبيل إيقاف تيارها الجارف وصرحها الشامخ وأخذ يشق طريقه رويداً رويداً معتمداً على حقه غير مكترث بهذه القوى الكبيرة الكافرة التي وقفت في طريقه، معلناً للعالم أجمع بأنَّ الحق يعلو ولا يعلى عليه وأنَّ للباطل جولة ثم يضمحل وأنَّ للحق دولة وسوف ينتصر.

ورغم الألوف التي وقفت تحارب الإسلام وتعارض دعوته وقف الرسول صلى الله عليه وآله يستقبل الأفراد الداخلين في الإسلام ويبث لهم تعاليمه ويعلمهم أحكامه ويفقههم في الدين الجديد ليرجعوا إلى أهلهم وقومهم منذرين ومبشرين.

وكان أبو ذر رضوان الله عليه رابع الداخلين في الإسلام، وفي الوقت الذي كان جالساً في مسقط رأسه سمع خبر ظهور الرسول

الأعظم صلى الله عليه وآله وظهور الإسلام، فأسرع في إرسال من أتاه بالخبر وأوفاه بالخبر بالتفصيل، وما أسرع أن عاد الرسول بالخبر أنَّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بمكارم الأخلاق.

وعلق أبو ذرك مخاطباً الرسول: ما شفيتني، ثم أسرع بنفسه وليس معه إلا شنة فيها ماؤه وزاده حتى وصل مكة وبقي فيها متكتماً في أمره حتى أدخله الإمام علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه ورد الرسول صلى الله عليه وآله عليه السلام وقال أبو ذر بعد ذلك كنت أول من حيا الرسول بتحية الإسلام فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام وسمع أبو ذر حديث الرسول وفهم دعوته فأسلم من ساعته ثم قال يا نبي الله ما تأمر بي؟! فقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ترجع إلى قومك حتى يبلغك أمري فقال أبو ذر والذي نفسي بيده لا أرجع حتى أصرخ بالإسلام في المسجد ورجع أبو ذر إلى المسجد الأعظم وقريش في أنديتها مشغولة في حديثها والتفكير في أمر الرسول العظيم ودعوته المباركة وعمن اتبعه من المستضعفين والرقيق، وبينما هم في هذا الحديث ونحوه وإذا بصوت أبي ذر الغفاري يشق عنان الفضاء منادياً (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدّاً عبده ورسوله) وصاحت قريش وشنت أبشع الدعايات الكاذبة والأقاويل المغرضة على هذا الرجل الكبير والصحابي الجليل أن (صبا الرجل، صبا الرجل)، فأقبلوا إليه يضربونه حتى صرع رضوان الله عليه وأتاه العباس بن عبد المطلب فانكب عليه وقال أقتلتم الرجل يا معشر قريش وأنتم تجار وطريقكم على غفار أفتريدون أن يقطع طريقكم فأمسكوا عنه وذهب أبو ذر يحمل إيمانه وآلامه، وقد حقق أمنيته المنشودة في الدعوة إلى الله تعالى متحدياً كبرياء قريش معلناً لهم ولكل كافر على وجه الأرض في كل زمان ومكان، بأنَّ المسلم لا يهاب الموت ولا يخاف أحداً غير الله وحده لا شريك له.

لذلك لم يكتف أبو ذر بهذا النصر المحقق حتى عاد في اليوم التالي إلى المسجد وقريش في مجلسها على شكل حلقات لاهية ساهية في أحاديثها وأسمارها وهي لا تتصور أن يعيد أبو ذر قولته السابقة، بعد أن لقي منهم ما لقي ولكنهم بهتوا عندما صرخ للمرة الثانية (لا إله إلا الله وأن محمّداً عبده ورسوله) وأسرعوا إليه يضربونه من كل جانب والعباس (عم النبي) يمنعهم من ذلك ويذكرهم بمصير تجارتهم إن هم قتلوه.

ولا زال أبو ذر مواصلاً كفاحه ونشاطه من أجل نشر تعاليم الإسلام والوقوف في وجوه المشركين منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وفي وجوه الحكام المنحرفين من بعد النبي صلى الله عليه وآله حيث رأى من الواجب عليه إظهار الحق وإزهاق الباطل وليكن ما يكون، فنصح الحكام المستبدين عن طريق الموعظة الحسنة تارة وعن طريق الزجر والقوة أُخرى، مردداً عليهم كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة التي تبشر الكافرين بجهنم وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. [التوبة: ٣٤]

فظل أبو ذر رضوان الله عليه مجاهداً حتى النفس الأخير من حياته فسلام عليه يوم ولد ويوم مات وحيداً مشرداً عن أهليه وذريته وما علينا إلا أن نقتدي بهذا البطل المجاهد والصحابي الجليل والداعية المخلص وأن تحيا في قلوبنا شرارة من ذلك اللهيب الذي جعل الإسلام فيما مضى عظيماً بنظامه الاجتماعي والاقتصادي ورقيه الثقافي.

علي عبود أبو لحمة



الأمانة

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾.[النساء:٥٨]

أولاً

إنّ مما يجذب الانتباه في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾ هو استخدام مادة الأمر، بشكلها المؤكّد والشديد دون صيغته.

وذلك لأنّ لمادة الأمر دلالتها الآكد على المطلوبية وعلى الطلب، وذلك كقول أحدهم لابنه: (آمرك بأن تذهب إلى المدرسة)، أو (آمرك بأن تسدد ديون الناس عليك)، إلا أنَّ هذه الدلالة تكون بشكل أضعف، فيما لو قال له: (اذهب إلى المدرسة) وما إلى ذلك.

ولقد كان من الممكن أن يقول سبحانه وتعالى: (أدوا الأمانات إلى أهلها)، إلاّ أنّه قال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ﴾.

والحاصل أنَّ مادة الأمر، لو استخدمت لدلّت على الأهمية القصوى، أو الأهمية البالغة أو الشديدة للمطلوب، والضرورة الحتمية أو الوجوب الأكيد، لانبعاث المأمور نحو المأمور به.

إضافة على ذلك نجد أنّ الله سبحانه تعالى، ابتدأ الآية الكريمة بـ﴿إِنَّ﴾ التوكيدية، فقال جل اسمه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ﴾، وكان من الممكن أن يقول: (آمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)، لكن ﴿إِنَّ﴾، تؤكد المضمون والمدلول، والجملة والكلام أكثر فأكثر.

ثانياً

إنّ الظاهر هو الخطاب في ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ عام للجميع، على عكس ما توهّمه البعض، من أنّ الخطاب خاص بالحكام فقط، مما سيأتي توضيحه التفصيل فيه.

إنّ هذا الخطاب موجه للحكام وللمحكومين، للتجار ولرجال الدين ولغيرهم، للجامعيين ولعامة الناس، للأستاذ وللتلميذ، وذلك لأنّ الضمير في ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ عام للجميع.

وعليه فالخطاب عام للجميع، فرئيس الدولة أو رئيس الوزراء، مكلف بأن يؤدي الأمانات إلى أهلها، ولأنّ الحكم أمانة والسلطة أمانة بعنقه، فعليه أن يؤدي هذه الأمانة إلى أهلها، وكذلك رئيس مجلس النواب أو مجلس الشعب أو الشورى أو البرلمان أو المحافظة.

وكذا الحال بالنسبة إلى مدير المدرسة، فإنّ الطلبة والتلاميذ أمانة بيديه، والأستاذ كذلك فإنّ إيصال المادة العلمية إلى الطلبة هي أمانة في عنقه.

كذلك الأب مؤتمن على أولاده، وشيخ العشيرة مؤتمن على عشيرته، ورئيس الحزب مؤتمن على أفراد حزبه، والخطاب أيضاً عام للوزراء ورؤساء النقابات ومدراء الاتحادات وهكذا.

إذن على كلّ فرد أن يؤدي الأمانة المؤتمن عليها، وعليه أن يفي للأمانة بحقها، فهذه الآية يستفاد منها معنى للجميع، فلا هي خاصة بفئة، ولا هي بمنأى عن الآخرين.

ثالثاً

الأمر الثالث هو استخدام الفعل بصيغة المضارع؛ إذ كان من الممكن أن يقول الله تعالى: (إنَّ الله يأمرك بأداء الأمانة)، بمعنى أن يستخدم المصدر، لكنه جل وعلا استخدم فعل المضارع المصدّر بأنَّ المصدرية ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا...﴾.

إنّ النكتة المهمة في هذه الكلمة، هي أنَّ الفعل المضارع يفيد

الاستمرارية، ويفيد الديمومة، فتارة نقول: (زيد أبغض عمراً)، فهذا فعل ماض، والفعل الماضي لا يدل على الاستمرار.

وعليه لا يدل هذا المثال على أنّ الحالة النفسية للفعل مستمرة، ولكن لو قال أحدهم: (إنّ زيداً يبغض عمراً)، فيبغض بصيغة المضارع، تدل على الاستمرارية في الحالة النفسية.

كما أنّ الفعل الآخر في الآية الشريفة ورد أيضاً بصيغة المضارع، وكان من الممكن أن يقول سبحانه وتعالى: (إن الله أمركم)، وذلك وإن كان سيفيد بالمآل نفس النتيجة؛ لأنه أمر الله سبحانه، وهو أمر نافذ على امتداد الأزمنة، لكن الفعل المضارع لدلالته على التجدد والحدوث، هو أبلغ في تأكيد الدلالة على المطلوب.

الأمانة ومفهومها العام

تدور حول كلمة الأمانات، وهي مما ينبغي التوقف عندها لبيان المعنى المراد من الأمانة والأمانات، ذلك أنّ ﴿الْأَمَانَاتِ﴾ في الآية الشريفة، جمع محلى بأل (الألف واللام).

فالأمانات تفيد على هذا العموم والاستغراق، وتفيد مختلف أنواع الأمانة، وشتى أصنافها، كذلك كافة أفراد الأمانة، فإنَّ الأمانة قد تكون أمانة مادية، كما لو سلم أحدهم لآخر مالاً، فعلى المؤتمن أن يؤديه له، عندما يحين حينه أو وقته.

وقد تكون الأمانة معنوية كما لو أنّ أباً سلّم ابنه لشخص أو لصديق، فترة سفره، فعلى المؤتمن رعاية هذه الأمانة، وكذلك المدير أو المعلم، فهو يستلم التلاميذ أمانة، وعليه رعاية الأمانة حق رعايتها.

وكذا السلطة بيد الحاكم، فإنّها أمانة في عنقه، والأمانة ها هنا، هي أعم من الأمانة المادية، ومن الأمانة المعنوية الشخصية؛ لأنّها أمانة أُمة أو شعب - بكل ما تتضمنه من أبعاد مادية ومعنوية - وقد سلّمت هذه الأمانة بأيدي حاكم أو حكومة أو هيئة حاكمة أو برلمان أو ما أشبه ذلك.

وعليه فإنَّ الأمانة لها عرض عريض، ولا شك في دلالة الصدق العرفي.

أمانة الحكم والسلطة في الأدلة النقلية

يمكن الاستدلال بالروايات الشريفة، على أنّ الأمانة تطلق على (الحكم) أيضاً، وهي كثيرة وقد عبرت عن السلطة بالأمانة.

ففي بعض الروايات يقول أمير المؤمنين عليه السلام في رسالة له لأحد ولاته: «وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِه».(نهج البلاغة:٣٦٧)

بمعنى أنّ عملك وحكومتك، أو ولايتك ورئاستك، ليس لك أن تستأثر بها، فتأكل أموال المسلمين، وتعتبرها طعمة من حقك، ولقمة سائغة لك.

وكقوله عليه السلام: «يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَ الإِبِلِ نَبْتَ الرَّبِيعِ».(علل الشرائع:١/١٥١)

فليس لك أن تستطعم منه، وتخزن الذخائر والكنوز، وتبني القصور، ولكنَّ هذا العمل - وهو الولاية والرئاسة والإدارة للعباد والبلاد - في عنقك أمانة.

وفي رواية أخرى، وردت في (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أيّها الناس إنّ أمركم هذا ليس لأحد فيه حق، إلاّ من أمّرتم، وإنّه ليس لي دونكم، إلاّ مفاتيح ما لكم معي».

بمعنى أنّ من ينتخبه الناس، يكون له الحق في الأمر والنهي، ولكنه ليس مالكاً لأموالهم، ولا له أن يتصرف فيها تصرف المالك كما يفعل سلاطين الجور؛ لأنّ ذلك خلاف إرادة الناس وتوليتهم.

وفي رواية أخرى، في نهج البلاغة أيضاً يقول عليه السلام: «فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ وَوُكَلَاءُ الأُمَّةِ».(نهج البلاغة:٤٢٥)

فهذه الرواية واضحة جداً، بوصفه الحكام بخزّان الرعية، والخازن (أمين)، وكذلك الوكيل (أمين)، وعلى الخازن أن لا يخون فيما خزنه للأمة والناس، وعلى الوكيل أن لا يخون فيما وكّل فيه.

وأنّ العبارة الصريحة وهي (وكلاء الأمة)، تعني أنّ الوالي هو وكيل الأمة، ولا يحق له أن يتأمّر فيهم بأهوائه وشهواته، وأن يستبد بالرأي، وأن ينكّل بهم، بالسجن والتعذيب، ويصادر الحقوق، ويسحق الكرامات، ويغتصب الأموال، فإنّ الوكيل لا يحق له أن يفعل مثل هذا مع موكله.

إذن الأمانة هي بأنواع مختلفة وقد تدخل في جميع أمور الإنسان وفي جميع أعماله وأفعاله، بل في أقواله كذلك، فنقل خبر ما أو حادثة هي تحمل في البداية أمانة نقل الخبر الصحيح.

فكل فرد بحد ذاته عليه أن يؤدي الأمانة إلى أهلها، فكما أنّ هناك أمانات يجب على الإنسان أن يؤديها باتجاه الآخرين، فتوجد أمانات بين العبد وبين ربه، إنّ الله قد أعطى للإنسان الأعضاء والجوارح وهي أمانة في عنقه، عليه أن يؤدي الأمانة إلى صاحبه كما كانت.

الحسد عند الأقرباء

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق:١-٥]

الحسد هذه الحقيقة التي يثبتها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ هي واحدة من الذنوب الكبيرة وهي رذيلة من الرذائل ومرض من الأمراض التي أصيب بها الكثيرون ممن عميت بصيرتهم وبصرهم بسبب الحسد.

هذا المرض الخطير، لماذا يشتد بين الأقرباء مرة وبين العلماء مرة ثانية وبين الأصدقاء في المرة الثالثة؟ الأصل في الأمور أن يفرح الأخ لأخيه إذا شاهده قد توفق على الصعيد الديني أو الاجتماعي أو حتى السياسي والثقافي، وأنّ يدعو الله أن يوفق أخاه في حمل هذه المسؤولية والأمانة التي منّ الله بها على أخيه.

أما ما نشاهده في الواقع الاجتماعي فهو عكس ذلك تماماً، ومما يؤسف له فأنَّ بعض الإخوة - وبسبب الحسد - يكون موقفهم من أخيهم موقف إخوة يوسف من يوسف عليه السلام، ولا يوجد أي مبرر لهؤلاء الإخوة في القضاء على أخيهم، وبهذه الطريقة المفجعة سوى الحسد، والذي لا يربي نفسه بما يحب الله ويرضى، ليس فقط الحسد يعشش في صدره، بل الكثير من الأمراض التي تفتك به حتى توصله إلى مرحلة الانتقام والقتل، ألم يقتل قابيل أخاه الشهيد هابيل بسبب الحسد؟

لعل البعض يقول: من هو الحاسد؟



أقول: الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال أو جاه أو علم أو غير ذلك، فيحسده.

إذن وما هو الحسد؟

الحسد: هو فعل يصدر من الحاسد، وهو نوعان:

نوع يحسد ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً ومغموماً من نعم الله على غيره، لكنَّه لا يعتدي على صاحبه.

والطامة الكبرى والشر والبلاء، إنَّما هو بالحاسد إذا حسد ولهذا قال تعالى: ﴿ إذا حسد ﴾ ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المحسود، فيكون الحاسد عنده كراهة لنعم الله على الغير، فإذا أحس بنفسه أنَّ الله أنعم على فلان بنعمة (خصوصاً إذا كان الحاسد والمحسود أقرباء)، خرج من نفس الحاسد الخبيثة معنى وشيء لا نستطيع أن نصفه، ولا يمكن لنا أن نتصوره، لأنَّه مجهول بالنسبة لنا، فيصيب بها المحسود بالعين، ومن تسلط عليه هذه العين أحياناً يموت (لا سامح الله)، وأحياناً بمرض، وأحياناً يُجن.

ولقد أثبتت البحوث العلمية، أنّ عين الحاسد يخرج



منها شعاع يذيب الحديد ويفتته!! هذا الحاسد إذا حسد - ويا للأسف - نجده بين الأب وابنه، وبين الزوج وزوجته، وبين الأخ وأخيه، وهكذا بين الأقرباء كافة.

لماذا لا يدخل السرور على قلبك حينما تشاهد أنّ أخاك أصبح عالماً أو فقيهاً أو دكتوراً أو له بين الناس محبوبية أو أنعم الله عليه مثلاً (بمرأة مطيعة ودابة سريعة وبيت وسيعة) كما تقول الروايات الشريفة؟ ولماذا لا تفتخر بذلك وتشكر الله على ما أنعم به على أخيك، حتى يعطيك مثل ما أعطاه وزيادة؟

أختتم هذه الكلمات بروايات عن أهل البيت عليهم السلام تتحدث عن الحسد بشكل عام حيث الذمّ الشديد لهذا المرض، بحيث قلّما نجد صفة من الصفات الرذيلة قد ورد ذمّها بهذه الشدّة في النصوص الدينية.

وعلى سبيل المثال وكنماذج من ذلك نكتفي باستعراض عدّة روايات تتحدّث حول هذا الموضوع:

ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «اَلْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ».(المحجة البيضاء:٥/٣٢٥)

والتعبير أعلاه يشير إشارة واضحة إلى أنّ نار الحسد يمكنها أن تأتي على جميع عناصر السعادة لدى الإنسان وتحرق حسناته وأتعابه طيلة عمره وتهدر ثمرات أتعابه بحيث يخرج من الدنيا صفر اليدين.

وهذا المعنى ورد بصورة أشد في الحديث الشريف عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام حيث قالا: «إنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإيمانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ». (الكافي الشريف:٢/٣٠٦)

أجل فإنّ الصفة الرذيلة للحسد لا تحرق الحسنات فقط بل تحرق الإيمان أيضاً وتبدّله إلى رماد، واعلم أنّ الحسد هذا أعم من أن يكون فقط بين الأقرباء.

وفي حديث آخر عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «اَلْحَسَدُ شَرُّ الأَمْرَاضِ».(غرر الحكم:١/٩١)

وطبقاً لهذا الحديث الشريف فإنّه ليس هناك من الأمراض الأخلاقية التي تصيب روح الإنسان، أكثر سوءاً وشراً من الحسد.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً قوله: «رَأْسُ الرَّذَائِلِ الْحَسَدُ».(غرر الحكم:١/٩٥)

وعنه صلوات الله عليه في تعبيره الكنائي عن الحسد قال: «لِلّهِ دَرُّ الْحَسَدِ مَا أَعْدَلَهُ بَدَءَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ». (بحار الأنوار:٧٠/٢٤١)

وأيضاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: «ثَمَرَةُ الْحَسَدِ شَقَاءُ الدُّنْيَا وَالآخِرَة».(غرر الحكم:٦٨٥٧)

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «آفَةُ الدِّينِ الْحَسَدُ وَالْعُجْبُ وَالْفَخْرُ».(المحجة البيضاء:٥/٣٢٧٧)

إذن: الحسد عند الأقرباء أو العلماء أو حتى الأصدقاء، هو جرح لكنه عند الأقرباء يكون هذا الجرح أعمق وأكثر إيلاماً. أجارنا الله وإياكم من شرور أنفسنا ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [يوسف:٥٣]

عبد الحسين الابراهيمي الكوفي

السؤال وآدابه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ...فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ .[النحل:٤٣]

خلق الله سبحانه الإنسان مفطوراً على التفكير وطلب العلم والكمال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ . [الرحمن:٣-٤]

وقد افتتح ربنا الكريم كتابه المجيد بالعلم والقراءة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ .[العلق:١-٥]

فقد ذكر سبحانه أول حال للإنسان وهو كونه علقة وهي أخس الأشياء، ثم ذكر آخر حاله وهو صيرورته عالماً وهي أجل المراتب في الدرجة العالية التي هي الغاية في الشرف والكرامة.

بل لقد جعل سبحانه العلم هو السبب الكلي لخلق هذا العالم في قوله تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ .[الطلاق:١٢]

والعلم ميزان الخشية والعبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ .[الذاريات:٥٦]

أي يعرفون كما في الخبر الشريف.

والعلم خزائن ومفتاحه السؤال، والسؤال رابط بين السائل والمسؤول.. فماذا عن السؤال لطلب العلم؟

السؤال.. مفتاح العلوم: لقد حث الإسلام على طلب العلم، واهتم بالعمل به غاية الاهتمام ولنا من الآيـات الكريمة والأحاديث الشريفة مئات الشواهد المبينة لأهمية العلم وطلبه ولآداب التعلم (للمعلم والمتعلم) ولأنفع العلوم وأضرها وغير ذلك.. ولا علم إلا بالتعلم ولا تعلم إلا بالسؤال: فلماذا نسأل؟ وماذا نسأل؟ وبأي مقدار نسأل؟ وما قيمة السؤال؟ وما هي آداب السائل والمسؤول؟ وممن نسأل؟ إننا أُمرنا بطلب العلم الذي في الصدور والقلوب، والعلم ليس بكثرة التعلم، إنَّما العلم نور يقذفه في قلب من يشاء، ذلك القلب الذي يكون حرم الله وعرشه، بتهذيبه وصفائه وتخليته من الصفات الذميمة، وتحليته بالصفات الحميدة يزكي نفس السائل المتعلم.. ولذا يؤخذ العلم من أفواه الرجال ومن صدورهم ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ . [العنكبوت:٤٩]

ومن قلوبهم وعقولهم، فإنَّ الكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «القلوب أقفال ومفتاحها السؤال».(ميزان الحكمة:٤/٣٣٠)

وكتأكيد على أهمية السؤال وقيمته يُنقل عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله: «العلم خزائن ومفاتيحها السؤال، فسألوا رحمكم الله فإنَّه يؤجر فيه أربعة: السائل والمعلم والمستمع (والسامع) والمحب لهم». (بحار الأنوار:١/١٩٦)

كما ينقل عن الإمام الصادق عليه السلام:

«العلم خزائن ومفاتيحه السؤال، فسألوا يرحمكم الله فإنَّه يؤجر أربعة: السائل والمتكلم والمستمع والمحب لهم».(بحار الأنوار:١/١٩٧)

وقال عليه السلام:

«هلك كثير من الناس بتركهم السؤال».

وزيادة في الفائدة ينقل أنَّ امرأة حضرت عند الصديقة الزهراء عليها السلام فقالت: (إنّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها عن ذلك



فثنت فأجابت، ثم ثلث فأجابت، إلى أن عشرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة وقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله، قالت فاطمة عليها السلام: «هاتي سلي عما بدا لك، أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراه مائة ألف دينار أيثقل عليه ذلك؟» فقالت لا فقالت: «أكريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى إلاّ يثقل عليّ، سمعت أبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنَّ علماء شيعتنا يُحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور».(المحجة البيضاء:١/٣٠)

فطلباً للعلم ولكي لا نهلك علينا أن نسأل وأن نبحث عن الأجوبة.

نوع السؤال ومقداره

ورد في الخبر الشريف: «اسأل عن أمور دينك حتى يقال عنك مجنون»، وهذا كناية عن كثرة السؤال.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: « سل عما لا بدّ لك من علمه ولا تعذر في جلهه».(غرر الحكم:٤٠١)

أي العلم الذي ينفع من علمه ويضرّ من جَهله، وهو علم العقائد الصحيحة والفقه السليم والأخلاق الطيبة.



كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «أيها الناس أعلموا أنَّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وأنَّ طلب العلم أوجب من طلب المال... والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه».(الكافي الشريف:١/٣٠)

أما الإمام الصادق عليه السلام فقد روي عنه قوله: «عليكم بالتفقه في دين الله تعالى ولا تكونوا أعراباً - أي لا تكونوا كالأعراب جاهلين بالدين غير متعلمين، غافلين عن أحكامه، معرضين عنها وعن تعلمها - فإنَّ من لم يتفقه في دين الله تعالى لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة ولم يزك له عملاً».(المحاسن:١/٢٢٨)

وقد ورد أيضاً: (فلا تزهد في مراجعة الجهل وإن كنت قد شهرت بخلافه، والسؤال نصف العلم).

ولكن هل على الإنسان أن يسأل لمجرد السؤال فيسأل ما يشاء كيف يشاء دون هدف سام من سؤاله؟

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.. ﴾.[المائدة:١٠١]

وقال سبحانه: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ... ﴾.[البقرة: ١٠٨]

وقال عزّ من قائل: ﴿ ... فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾.[هود:٤٦-٤٧]

لأنّ الله سكت عن أشياء فاسكتوا عنها كما في الخبر: (وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها).

فكأنَّ هناك أموراً لا بد أن تبقى مخزونة محفوظة لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم.

وفي هذا السياق يذكر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب فقال: («إنّ الله كتب عليكم الحج»، فقام عكاشة بن محصن ويروى سراقة بن مالك فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ويحك وما يؤمنك أن أقول: نعم، والله لو قلت: نعم، لوجبت، ولو وجبت، ما استطعتم، ولو تركتم، لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»)؟(تفسير كنز الدقائق وبحث المناقب:٩/١٤٦)

وقال الكليني بإسناده أنَّه جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب، ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال علي بن الحسين عليه السلام: «مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون، ولما تعملوا بما علمتم، فإنَّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً، ولم يزدد من الله إلا بعداً».(الكافي الشريف:١/٤٥)

فعليه إنَّما نسأل لنعلم، وإنَّما نعلم لنعمل، ولا بد من

الإخلاص في العمل، والمخلصون على خطر عظيم.

آداب السائل والسؤال والمجيب

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «من أحسن السؤال علم، من علم أحسن السؤال».(عيون الحكم:٤٢٤)

وقال عليه السلام أيضاً: «إذا سألت فسل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً، فإنَّ الجاهل المتعلم شبيه بالعالم، وإنَّ العالم المتعسف شبيه بالجاهل».(عيون الحكم:١٣٢)

وقال عليه السلام كذلك: «إنّ من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذه بثوبه إذا نهض، ولا تفش له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته».(المحاسن:١/٢٣٣)

يسأل المرء إذا أُذن له، فإنَّ السؤال عما لم يبلغ رتبته إلى فهمه، لا يمدح عقباه، ولمثل هذا منع الخضر موسى على نبيّنا وآله وعليهما السلام عن السؤال قبل أوانه.

وأما المجيب فقد قال في حقه أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يستحي العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم». (دعائم الإسلام:١/٨٠)

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أجاب في كل ما يسأل عنه لمجنون».(معاني الأخبار:٢٣٨)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «من ترك قول: لا أدري أصيب مقاتله، وقول لا أعلم نصف العلم».(عيون الحكم:٣٧٢)

وعن قاسم بن محمد بن أبي بكر أنَّه سئل عن شيء فقال: (لا أُحسنه، فقال السائل: إنِّي جئت إليك لا أعرف غيرك! فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله ما أُحسنه، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها!، فقال: فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم!، فقال القاسم: والله لأن يقطع لساني أحب إلي أن أتكلم بما لا علم لي به)!!(بحار الأنوار:٢/١٢٣)

ومن وصايا النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر الغفاري رضوان الله عليه: «يا أبا ذر إذا سئلت عن علم لا تعلمه فقل: لا أعلم تنج من تبعته، ولا تفت بما لا علم لك به تنج مع عذاب الله يوم القيامة».(أعلام الدين في صفات المؤمنين:١٩٠)

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل: لا أدري، ولا يقل: الله أعلم، فيوقع في قلب صاحبه شكاً، وإذا قال المسؤول: لا أدري فلا يتهمه السائل».(المحاسن:١/٢٠٦)



فمن الأدب

١. حسن السؤال وحسن الجواب.

٢. السؤال للتفهم والعمل، لا للتعنت والإعجاز والأذى والاستهانة.

٣. لا تكثر السؤال إلا إذا أُذن لك.

٤. لكل مقام مقال وإنَّما يسأل في أوانه.

٥. لا يخجل من لا يدري أن يقول: لا أعلم، فإنَّ لا أدري نصف العلم.

هذا بعض ما نفهمه من الروايات الشريفة التي مرت، وهناك آداب أُخرى ذكرها العلماء في كتبهم، فراجع في مضانه.

وأخيراً: إلى من نرجع في أسئلتنا؟ وممن نسأل؟ إنَّما نرجع إلى أهل الخبرة، ويسأل في كل فن أهله، وفي كل علم أصحابه، وربنا الله العالم بكل شيء سبحانه وتعالى، أمرنا في كتابه الذي لا يأتيه الباطل وفيه فرقان كل شيء هدىً للمتقين ورحمة للمؤمنين، أن نسأل فيما لا نعلم أهل الذكر في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .[النحل:٤٣]

بقلم: السيد عادل العلوي



الوقت مخلوق عجيب (الحلقة الثانية)

الوقت في طول العمر والطب الحديث وسر الخلود

إنّ العلم الحديث قد صرح بإمكان الإنسان البقاء آلاف السنين بشرط أن تتوفر له وسائل المحافظة على القوى الجسمية والبدنية بحيث أن يساعده ذلك على البقاء حياً.

(موسوعة الإمام المهدي عليه السلام)

إنَّ من النتائج العلمية والعملية والمؤدية بالامتحان والتي أجراها بعض العلماء الموثوق بعلمهم حيث قالوا (إنّ الإنسان لا يموت ويمكن أن يعمر كذا من السنين آلاف أو ما لا نهاية له أي بمعنى إلى ما شاء الله تعالى) بسبب أنَّ كل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له إذا لم تعرض عليه عوارض تقضي على حبل حياته، وذلك لأنّ هذه العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها ولكون أعضائه مرتبطة ببعضها البعض حيث تؤدي به إلى الهلاك والموت فإذا استطاع العلم أن يزيل تلك العوارض أو يمنع فعلها لم يبقَ مانع يمنع استمراره في الحياة لمئات السنين بل آلاف أيضاً.

و(إنّ جان روستان) يعتقد بضوء الاكتشافات والتجارب العلمية أنّ اتباع طريقة حفظ الإنسان لم يعد يبدو مستحيلاً فالاكتشافات التي سجلها عدد من المشاهير العلماء منذ حوالي قرن تترك بعض الأمل في إمكانية التوصل إلى مركب متناسق يساعد في تحقيق المزيد من التقدم اعتماداً على تجارب علمية سجلها براون وألكسي كاريل وفوارنوف وميتشيتكوف ويونحو موليتنر وفيلانوف وغيرهم.

أما روبرت أيينتجر الذي وضع أخيراً كتاباً قيماً بعنوان (الإنسان هل يمكن أن يخلد حياً) فقد خلق آمالاً جديدة إذ قال (إنَّ الإنسان الذي يعيش ويتنافس الآن يملك حظ البقاء من الناحية الفيزيائية).

(موسوعة الإمام المهدي عليه السلام)

هذا كله مضافاً إلى التصريحات الكثيرة بشأن إمكان المحافظة على حياة الإنسان ألوف السنين لو جمد خلال هذه الفترة الزمنية وذلك باعتبار أنَّ التجميد يحافظ على كل الخلايا الحية ومهما يكن من أمر فإنّ تصريحات العلماء تؤكد بإمكان أن يطول



عمر الإنسان وإنّ هذا الإمكان هو المحفز الأكبر لهم على المثابرة والسعي لمعرفة الوسائل التي تحقق ذلك وإذا صح إمكان طول عمر الإنسان بحسب الاستعداد والطبيعة كان ممكناً وصحيحاً طول عمر الرجل المنقذ للبشري وهو المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف طيلة هذه القرون بحسب الطبيعة الإلهية.(آل يس:٤٢٠. أصول الدين:٤٢٢)

الوقت من وجهة نظر الباحث

الوجهة التجريبية

إنّ علماء الأحياء المختصون بإجراء التجارب العديدة على حيوانات مختلفة حيث توصلوا إلى نتائج علمية لهذه التجارب (إنّ بإمكان بقائها لمدة طويلة تفوق مدة عمرها الطبيعي أكثر بكثير).

الوجهة العلمية

أما الوقت من وجهة نظر علمية فنستطيع أن نتأكد من ذلك عبر شهادات الأطباء ذوي الاختصاص في علم الطب حول هذه المسألة، وفيما إذا لم يتعرض الإنسان إلى تلك العوارض التي تؤدي إلى القضاء على حياته والفتك بأنسجته المترابطة بعضها ببعض كما ذكر في سابق البحث حيث أكد علم الأحياء بأنَّ الخلية في جسم الإنسان لها عمر ووقت.

سؤال

وهنا السؤال الذي يرد في هذا العلم هو كم تعيش الخلية وهل جميع الخلايا الحية لها عمر واحد وهل تتجدد الخلايا الحية؟

الجواب

إنّ لخلايا جسم الإنسان عمراً واحداً وثابتاً وتستبدل بشكل أوتوماتيكي عندما تتأكل وتموت وعندما تكون الخلية أكثر نشاطاً تكون حياتها قصيرة مثل خلايا الأمعاء والتي تعيش خمسة أيام فقط فهي تتساقط داخل الأمعاء يضطر الجسم إلى هضمها واسترجاعها للحيلولة دون فقدان المواد التي تحتوي عليها، وتحل خلايا جديدة محلها، أما خلايا الجهاز العصبي لا تتجدد بينما جميع الخلايا تتجدد مرات محدودة فقط بعدها يصلح الإصلاح والتجديد للخلايا أقل سرعة.

وفيما يلي جدول بعمر بعض الخلايا الحية عند الإنسان:

رموش العين عمرها من (٣-٤) أشهر.

كريات الدم الحمراء عمرها (٤) أشهر.

كريات الدم البيضاء التي تحارب الأمراض عمرها من (٢-٤) سنوات.

خلايا الأمعاء عمرها (٥) أيام.

خلايا العظم عمرها من (١٥-٢٠) سنة.

الكبد عمره (٨) أشهر.

كريات الدم البيضاء التي تلتهم الجراثيم عمرها (٣٠) ساعة.

الوجهة القرآنية

إنّ ما ذكره القرآن الكريم المدة النسبية أو الوقت والتي وضعت فيها مسألة بقاء الإنسان مئات السنين ومن هذه الآيات قوله تعالى عزّ وجل:

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .[الصافات:١٤٣-١٤٤]

جاء في تفسير هذه الآية أنّ من التسبيح المقصود في هذه الآية هو الإقرار بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام.(تفسير فرات الكوفي:٢٢٦)

وقد أوضح القرآن بأنّ حياة النبي يونس على نبيّنا وآله وعليه السلام فيها إشارة واضحة وصريحة بأنَّه لو لم يكن من المسبحين المقرين بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام لأمكن له أن يبقى في بطن الحوت إلى يوم البعث، علماً بأنّ الوقت في هذه الآية هو وقت غير مباشر.

قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ .[العنكبوت:١٤]

وهنا قد أشار القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة إلى أنّ حياة نبي اللّه نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام امتدت إلى أكثر من ألف عام حيث أشار القرآن إلى المدة الزمنية لبعثته كانت تسعمائة وخمسين عاماً وأنَّ حياته امتدت حسب الروايات في الأثر قد استمرت إلى أكثر من ألفي عام وقد روي أنَّه قد عاش ألفين وأربعمائة سنة والعلم عند اللّه وكذلك فإنَّ لقمان الحكيم قد عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وقيل عاش عمر (سبعة أنسر) وسمي آخرها (لبد) حيث قال: طال الأبد على لبد.(موسوعة الإمام المهدي عليه السلام).

قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ .[الكهف:٢٥]

هنا قد أشار القرآن الكريم إلى أصحاب الكهف والوقت الذي قد قضوه في كهفهم حيث ليس لدينا علم كم عاشوا

←

قبل دخولهم الكهف وبعد خروجهم من الكهف.

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تشير إلى الفترة الزمنية أو الوقت بصورتيه المباشرة وغير المباشرة.

فالباحث قد توصل في بحثه هذا إلى نتيجة حتمية يستطيع بها الرد على من يشكك في بقاء الرجل المنقذ عند باقي الأمم والأديان الأخرى والمهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف عند المسلمين بصورة عامة والشيعة الإمامية بصورة خاصة ألا وهي:

إنّ بقاء الإنسان مئات السنين في هذا العالم عالم الدنيا بجسمه المادي (جائز) وممكن وهي مسألة طبيعية وعادية من وجهة نظر تجريبية وعلمية وقرآنية.

قال المقداد السيوري في شرحه: لا شك أنَّ هذا أمر ممكن والله تعالى قادر على كل الممكنات فيكون قادراً على بقائه هذا الشخص لهذه المدة الطويلة هذا مع أنَّ مثل هذا التعمير وأضعافه قد وقع إما في حق الأنبياء عليهم السلام كما في نوح وشعيب على نبيّنا وآله وعليهما السلام وإما في حق الأشقياء كما في السامري والدجال.

وإذا جاز ذلك في حق الطرفين فليجز في حق الوسط وهم الأولياء وحيث الحال كذلك فلا وجه لاستبعاد الخصم طول عمره عجل الله تعالى فرجه الشريف.

في بيان وجوده في هذه المدة الطويلة وكذلك لوجهين:

الوجه الأول

النصوص الدالة على وجوده عجل الله تعالى فرجه الشريف وطول عمره وغيبته حيث نقلها الشيعة خلفاً عن سلف وبالتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الأئمة الأطهار عليهم السلام.

الوجه الثاني

الدليل الدال على أنَّ كل زمان لابد فيه من إمام معصوم وغيرهم ليس بمعصوم بالإجماع فيجب أن يكون هو موجوداً في هذه المدة الطويلة من حين وفاة أبيه الحسن العسكري عليه السلام إلى انقطاع التكليف وإلاّ لزم خلو الزمان من إمام معصوم وهو باطل.(ارشاد الطالبيين:٣٧٧)

بقلم: سعد محسن خميس

استبيان

يسر مجلتكم / مجلة الوارث التي تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة أنْ تدعوكم للمساهمة الجادة في الاستبيان الذي تطرحه، وذلك لغرض تقويم المجلة في مظهرها وجوهرها الحاليين ومن ثم إحداث قفزة نوعية في مضمونها وشكلها، ولن يتم ذلك إلاّ من خلال إسهامكم المهم في الاستبيان المذكور الذي نحاول عن طريق الاعتماد على نتائجه الوصول إلى أرقى ما تتطلبه المجلة في جميع الأبواب ولذلك نقدم لكم شكرنا وتقديرنا مسبقاً على إسهامكم في هذا الاستبيان.

- ما هي المواد التي تهتم بها أكثر في المجلة: ....

- ما هي طبيعة المواد التي تحب أن تطلع عليها أكثر: ....

- هل تستطيع أن تقيم مضمون مجلة الوارث: (جيد☐ / لابأس☐ / ضعيف☐)

- ما هي جوانب الضعف في المجلة:

....

- ما هي الجوانب التي تقترح أن تهتم بها المجلة أكثر:

....

- ما هي النقاط الإيجابية في المجلة:

....

- هل تعتقد أنَّ حجم المجلة الحالي هو ملائم: نعم ☐ / لا ☐

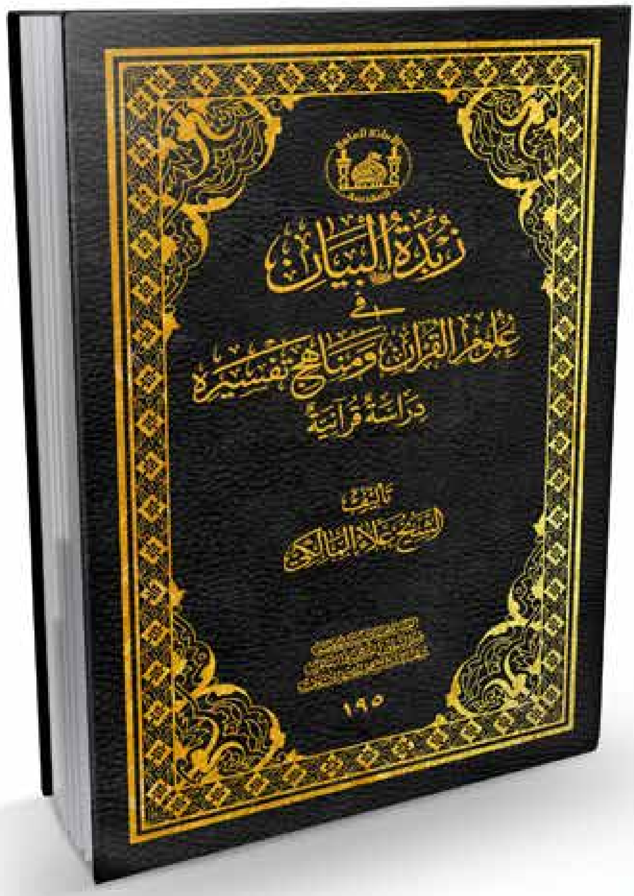
مِن كلماتِ إمامنا السبط المُجتبى
في مَعرفةِ آلِ محمّد

قال الإمام الحسن المجتبى صلواتُ اللّه عليه:

(نَحْنُ نورٌ لِمَن تَبِعَنا، وهُدىً لِمَن اقْتَدى بِنَا، ومَن رَغِبَ عَنَّا فليسَ مِنَّا، ومَن لم يَكُنْ مِنَّا فَلَيسَ من الإسلام في شَيءٍ. بنا فتحَ اللّه الدين، وبِنَا يخْتِمُهُ، وبنا أَطْعَمَكُم اللّه عُشْبَ الأرْضِ، و بِنا أَنزلَ اللّه عليكم قَطْرَ السَماء، وبنا آمنكم اللّه من الغَرَق في بَحْرِكُم، وَ مِن الخَسْف في بَرِّكُم، وبنا نَفَعَكُم اللّه في حَياتكُم وفي قُبُوركُم وفي مَحْشَركُم وعِنْد الصِراط و عِنْد الميزان وعِنْدَ دُخولِكُم الجِنان...)

[بحار الأنوار: ج٢٣]

صدر حديثا
من شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة



للحصول على النسخة
الرقميـــــة للمجلـة
امســـح هذا الكـــود



تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى إرسال الأعمال على البريد الإلكتروني التالي:

Email: info@imamhussain-lib.org